الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللّغة والأدب العربي

فرع :دراسات أدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

الموسومة بـ:

# ثنائيات التّضادية في نقائض جرير والأخطل

**تحت إشراف**

-ابراهيم بوشريحة

**إعداد الطالبتين** :

- عرابي شهيرة
- حسين حيزية

لجنة المناقشة

| | |
|---|---|
| د.رابح شريط ..... | رئيساً |
| د.ابراهيم بوشريحة ..... | مشرفا ومقرراً |
| د.مصطفى مرضي ..... | عضوا مناقشاً |

السنة الجامعية

2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

# كلمة شكر

**(وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ) [النمل 19 ].**

في بادئ الأمر نشكر الله وتعالى على نعمه الجليلة أنّه تبارك وتعالى أمدنا بالصحة و القوّة ، وبحمده عزّ وجلّ أنّه وهبنا التوفيق والسداد ، ومنحنا الرشد والثبات ، لإعداد هذا البحث ، ونرجو أن يكون ذخراً في ميزان الحسنات يوم القيامة .

ونشكر كل من تلقينا منه علماً صالحاً ، أو عملاً مفيداً لمواصلة مشوارنا ، كما نخص بالشكر الأستاذ المشرف " بوشريحة ابراهيم " على توجيهاته القيّمة ونصائحه النفيسة ، وكل الأساتذة الذين تمدرسنا على أيديهم ، بالإضافة إلى أعضاء لجنة المناقشة .

وفي الأخير نشكر أيضًا كل من ساعدنا طيلة فترة الدراسة من قريب أو من بعيد ، بالكثير أو بالقليل ، حتى ولو بكلمة طيبة ، أو ابتسامة عطرة .

إلى كل هؤلاء أقول لهم " بارك الله لكم ، وجعلها في ميزان حسناتكم ، وجعل الجنة مأواكم "

آمين

# إهداء

أهدي ثمرة جهدي أولا وقبل كل شيء إلى سبب وجودي ونجاحي في هذه الحياة والديا الكريمين أطال الله في عمرهما اللذان وفرا لي جميع الظروف المساعدة للوصول إلى هذا المستوى.

كما اهدي هذا العمل إلى كل عائلتي الكريمة "عرابي"

إلى قرة عيني أيوب، محمد الفاتح، أروى.

إلى منن قاسمتني الجهد والوقت والتعب

حيزية

إلى كل صديقاتي مروة ، أسماء ، نعيمة .

وكل من شاركني العمل من قريب أو من بعيد

شهيرة

# إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليضئ لي طريقي إلى اعز ما املك في الدنيا

إلى القلب الكبير... والدي العزيز حفظه الله

إلى رمز الحب و بلسم الشفاء

إلى من سهرت على تربيتي... أمي الحنون حفظها الله

إلى من أكن لهم الاحترام و التقدير إخوتي حفظهم الله

عبدالقادر ، بوحركات

إلى أحبتي الصغار جنان تسنيم، رشيدة،

إلى كل من أحب إلى صديقاتي

مروة ، شهرة ، نعيمة ، أسماء

إلى كل من ساعدني و لو بكلمة طيبة

الجنة

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا لشكره أداء ، ولحقه قضاء ولحبه رجاء ولفضله نماء ، ولثوابه عطاء والصلاة والسلام على سيدنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بن عبدالله وعلى أله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد.

إن مصطلح الثنائيات الضدية هو مفهوم فلسفي حديث عرف بأسماء أخرى إلى التقابل والطباق، وعرفوه بأنه تضاد باللفظ والتضاد أن هما اللذان ينفي أحدهما وجود الأخر ، كالدواء والبياض والنور والظلام فوجود النور ينفي وجود الظلام ولذلك يدخلان في علاقة تضاد وتناقض فالشعور بهما يكون تاما واضحا إذا اجتمعا في المكان نفسه وهذا ينطبق على كل المصطلحات والادراكات والصور العظيمة كالشعور باللذة والألم والتعب والراحة والهدف من البحث إظهار هذه التضادات في نقائض التي هي من فنون الشعر العربي القديم اختلف الباحثون في تحديد تاريخ نتأتها ، لكنهم لم يختلفوا في أنهه ووصل إلى ذروة نموه وأوجه ازدهاره في العصر الأموي لا سيما عند الشعراء هذا العصر المبرزين جديد والفرزدق والأخطل الذين حمل شعرهم وثيقة تاريخية للحوادث التي سادت في هذا العصر الأموي هو هجاؤه الملائم لأذواق الناس في تلك الحقبة التي كان يسود فيها الترف المفرط واللهو العابث فهذا الجمهور لم يكن يعيد منها سوى النكتة المضحكة والسخرية المسلية فراح كل شاعر يرسم لمهجوه صورة تحط من قيمة وقدره دون أن يكون بينهم أي عداوة أو خصوبة شخصية فكان الهدف من ورائها إظهار السبق التفوق والناحية الشعرية الخالصة ، فتتحول إلى حرفة احترفها الشعراء الذين كان يغلب عليهم أسلوب الجدل والمناظرة والحوار ، أما أهمية الدراسة فعلى الرغم من كثرة الدراسات السابقة في دواوين شعراء النقائض، وإعداد الدراسات المتنوعة إلا انه يبقى فسحة للناظر من خلالها في شعرهم تستحق الدراسة والمتابعة ولهذا نبرز اهمية دراستنا الموسومة بـ "ثنائيات التضادية في نقائض جرير والأخطل" فمنن خلال هذا البحث الذي نحاول الكشف عن الثنائيات الضدية التي تمثل ظاهرة مميزة لفن النقائض، وعلامة واضحة في كافة أشكالها ، ابتداءا بالبيت ، وانتهاء بالقصيدة الكاملة بل القصيدتين متناقضتين معا ، حتى تركت هذه الظاهرة أثرا واضحا في لحمة البيت المفرد

والقصيدة والكاملة فضلا عن دورها المتعالي في آداء المعاني الشعرية التي ينشدها الشاعر وذلك لأن تقنية للثنائيات المتضادة تتناسب وغاية النقيضة التي تقوم في أصلها على التناقض والتضاد والتنافر وغير ذلك من المفاهيم العديدة التي يشتمل عليها هذا المصطلح .

ولعل الدافع واء هذا البحث أن هذا الموضوع لم يحضى بكثير من الدراسة وهذا ما دفع فضولنا العلمي إلى ان اختيارنا هذا الموضوع .

ومن هنا تبلورت إشكالية البحث إذ استنبطناها برغبة متوهجة لمحاولة معرفة :

- ما هو فن النقائض؟

- كيف تجسدت الثنائيات الضدية في نقائض جرير والأخطل؟

ولتحقيق أهداف الدراسة فقد اعتمدنا على خطة انتضمت في مقدمة وفصلين وخاتمة أما الفصل الأول المعنون بماهية شعر النقائض فقد قسم إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول تطرقا فيه إلى مفهوم شعر النقائض لغة واصطلاحا وعوامل نشأتها وفي المبحث الثاني ذكرنا فيه خصائص النقائض وموضوعاته وفي المبحث الثالث شعراء النقائض في العصر الأموي ، أما فيما يخص الفصل الثاني فقد كان بعنوان فضاءات الثنائيات الضدية في نقائض جرير والأخطل وقسمناه لثلاث مباحث ، المبحث الأول مفهوم الثنائيات المتضادة لغة واصطلاحا وفي المبحث الثاني الفضاء الديني أما المبحث الثالث والأخير الفضاء الاجتماعي وختمنا ببحثنا بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اتبعنا في بحثنا هذا المنهج التحليلي النقدي كما استعنا بالمنهج التاريخي المناسب لتتبع نشأة وتطور هذا الفن وأعلامه.

ومن العراقيل التي اعترضت سبيلنا أثناء إنجازنا هذا البحث هو مشكل انحصار هذا الفن في العصر الأموي وقلة الدراسات المتعلقة بالموضوع ، ونقص المادة العلمية وذلك بسبب الوباء (كورونا) .

حيث رافقنا في رحلة بحثنا مجموعة من المصادر والمراجع الهامة ككتاب "نقائض جرير والأخطل" وكذا ديواني جرير والأخطل إلى جانب العديد منن الكتب التي لها علاقة مباشرة بالموضوع.

وإن كان من واجب الباحث الشكر والعرفان فإننا نتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة ابن خلدون كافة، وغلى الأستاذ بوشريحة إبراهيم فلهمنا كريم الفضل وجزاه الله عن الباحثين الناشئين خيرا وفي الأخير نرجو أن يكون هذا البحث حلقة من الحلقات التي تنير البحث فإن أصبنا فمنن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

تياارت يوم: 2020/09/20

**الطالبتين :**

- عرابي شهيرة
- حسين حيزية

# الفصل الأول

## ماهية شعر النقائض

المبحث الأول : مفهوم النقائض وعوامل نشأتها

المبحث الثالث : الشعراء فن النقائض في العصر الأموي

المبحث الثاني: خصائص النقائص وموضوعاته

**المبحث الأول: مفهوم النقائض وعوامل نشأتها**

عرف شعر الأموي ألوانا جديدة انصرف إليها بعض الشعراء حتى اتنسب إليهم، ومن بين هذه الألوان "النقائض" حيث تعد النقائض من أرقى فنون الشعر في العصر الأموي، فقد كانت ظاهرة أدبية مميزة حين مثلت لونا من ألوان الصراع الأدبي بين الشعراء.

**1-مفهوم النقائض لغة واصطلاحا**

**لغة:** وقد ورد هذا الفعل من القرآن الكريم في سور شتى، ومن ذلك قوله تعالى( وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا)(النحل 91) ، وقوله تعالى ( **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا** )النحل 92، وقوله تعالى ( الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ )البقرة 27.

النقض افساد ما ابرمت من عقد أو بناء، النقض ضد الإبرام، نقضه ينقضه نقضا وإنتقض وتناقض، والنقض اسم البناء المنقوض إذا هدم، فناقضني وناقضته هي مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه أية ينقض قولي وأنقض قوله، وأراد به المراجعة والمرادة، وناقضه في الشيء مناقضة، ونقاضا أي خالفه[1].

وفي الصحاح النقض، نقض البناء والحبل والعهد والنقاضة، ما نقض من حبل الشر والمناقضة في القول، أن يتكلم بما يتناقض معناه، و النقيضة في الشعر ما ينقض به[2].

**اصطلاحا:** أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا، فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول، ومعنى هذا أنه لابد من وحدة الموضوع فخرا أو هجاءا أو سياسة أو رثاء أو نسيبا أو جملة من هذه الفنون المعروفة.

إذا كان الموضوع هو مجال المناقشة ومادة النقائض، الابد من وحدة البحر فهو الشكل الموسيقي الذي يجمع بين النقيضتين ويجذب إليه الشاعر الثاني بعد أن يختار الأول، ولابد من

---

[1]- ابن منظور، محمد بن كرم الأنصاري (ت-711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة نقض، ج.7، ص 242-243.

[2]- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر نقض، 1110، ص 12.

وحدة الروي فلذلك هو النهاية الموسيقية المتكررة التي تعد جزءا من النظام الموسيقي العام للمناقضة، بقيت حركة الروي، ولابد من وحدتها أيضا اتماما لذلك التنسيق الوزني[1].

والمختار في النقائض أن تكون طوالا، وفيها يفتخر الشاعر بنفسة وبقومه، وبفضائل نفسه كالشعر والكرم والشجاعة، ثم باحساب قومه كالحروب التي انتصروا فيها والعهود التي وفو بها والمحاسن التي أتوها من الكرام والدفاع عن الأعراض والقيام بشأن القبيلة وما الى ذلك.

بعدئذ ينقّب الشاعر عن معائب خصمه وقوم خصمه فيذكرهم جميعا بالعي

والبخل، الجبن، حقا أو باطلا، ويذكر أيضا الحروب التي هزموا فيها والعهود التي نقضوها

والمخازي التي عرضت لهم، وإذا أعوزته المخازي أو أعوزه شيء منها يتأخر عن اختلافه[2].

فشاعر قبيلة من القبائل ينظم قصيدة من القصائد في الفخر بقبيلته وأمجادها ويتعرض لخصومها من القبائل الأخرى، فينبر له شاعر من شعراء تلك القبائل ويرد عليه بقصيدة على وزن قصيدته ورويها، وكأنه يريد أن يظهر تفوقه عليه من ناحية المعاني ومن ناحية الفن نفسه، ويتجمع الناس من حولهما يصفقون ويهتفون وبذلك تحولت النقائض من غاية الهجاء الخالص إلى غاية جديدة هي سد حاجة الجماعة الحديثة في البصرة الى ضرب من ضروب الملاهي[3].

## 2- عوامل نشأة النقائض

يرجع تطور فن النقائض في هذه الفترة إلى عدة عوامل منها:

### أ- العوامل الاجتماعية والعقلية:

يرجع الدكتور شوقي ضيف نمو النقائض في هذا العصر إلى أسباب كثيرة يرجع بعضها إلى عوامل اجتماعية وبعضها الآخر إلى عوامل عقلية

---

[1]- الشايب أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط.2، ج.1، مكتبة النهضة المصرية، 1998، ص 3.

[2]- عمرو فروخ، تاريخ الأدب العربي "من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين"، بيروت، ط.1، 1981، ص 362.

[3]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الاسلامي) دار المعارف، القاهرة، ط.14، ص 242.

أما العوامل الاجتماعية: فمردها إلى حاجة المجتمع العربي خاصة في البصرة إلى ضرب من الملاهي يقطع به الناس أوقات فراغهم، ولا يقطع الفراغ إلا أن يملأ بالدرس والنظر العقلي، وإما بلهو يسرون به.

أما قبائل العراق فلم تتجه هذا الاتجاه إذ كانت شديدة الصلة بحياتها البدوية القديمة وأخذت نيران الهجاء تشتعل فيها اشتعالا شديدا، حينئذ انبرى الهجاءون يملأون أوقات الناس بأهاجيهم وسرعان ما تحولت هذه الأهاجي إلى نقائض[1].

وهنا تدخلت عوامل عقلية في نمو النقائض مردها إلى نمو العقل العربي ومزاته الواسع في الحوار والجدل والمناظرة في النحل السياسية والعقيدة وفي الفقه وشؤون التشريع، وعلى ضوء ذلك كله أخذ الشعراء النقائض يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها وكل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة.

وخير مثال على ذلك لامي الفرزدق يبدأ قصيدته مفتخرا بعزة بيته وسيادة أبائه فيقول[2]:

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز واطول

بيتا بناه لنا المليك وما بنى حكم السماء فانه لا ينقل.

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل

**ب- العوامل السياسية:**

فلما انتهت الخلافة الإسلامية باستشهاد أمير المؤمنين على بن أبي طالب وحولها بنو أمية يستوى في ذلك بنو سفيان وبنو مروان، إلى ملك قيصر كسرى، بدأ التمسك بالمثل الإسلامية العليا يضعف في قلوب المسلمين شيئا فشيئا، وبدأت العادات الجاهلية تستهوي بعض الحمقى من الشعراء، فعاد اليها قولا وفعلا، وبدأت العصبيات الجاهلية التي سادت حياة العرب قبل الإسلام تطل بوجهها المقين من جديد.

[1]- محمد أبو ربيع، تاريخ الأدب العربي القديم، دار الفكر، عمان ، 1990،ص 79.

[2]- المرجع نفسه، ص 80

نرى هنا نقيضة درات بين زفر بن الحارث الكلابي بعد معركة (راهط) التي انتصرت فيها قبيلة كوليب على قبيلة غيلان قبيلة زفر بن الحارث فقال[1]:

أرني سلاحي لا أبالي أنني أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا.

أتاني عن مروان بالغير أنه مقيد دمي أو قاطع لسانيا.

فأجابه جواس بن قعطل بقوله[2]:

لعمري لقد أبقيت وقيعة راهط على رزق داء من الداء باغيا.

مقيما ثوي بين الضلوع محله وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا.

يبكي على قتلي سليم وعامر وذيبان من معذورا ويبكي البواكيا.

وإذا كانت روح القبيلة الجاهلية واضحة في النقيضين، ذلك كلبا يمنية، وقيسا ونزارية فان المظهر السياسي ال يقل وضوحا عن سابقة في تلك النقائض نفسها التي جرت بينهم.

*ومن الفخر ما نجده في معلقة عمرو بن كلثوم يقول[3]:

ـ أبا هند فلا تجعل علينا وأنظر نا نخبرك إلى بينا .

ـ بأنا نورد الرريات بيضا ونصدر هن حمرا قد رأينا .

ـ وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن تدينا .

ـ وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمي المحتجرينا .

ـ تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتاه صفونا.

– متى ننقا إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طيحنا.

ـ إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقر الخسف فينا .

[1]– مصطفى الشكعة، رحلة الشعر من الأمويين الى العباسيين، الدار المصرية اللبنانية، 1997، ص 30.

[2]– المرجع نفسه، ص 31.

[3]– د.شمس الدين احمد حالو، ديوان الشعراء المعمرين، ص 96

أشاد الشاعر في هاته الأبيات إلى الفخر بأيام قومه الأشداء الأقوياء الذين لايعودون إلا مكللين بالنصر ، وقد أشربت راياتهم البيضاء دماء الأعداء فعادت حمراء من المعارك ، وهذا أكبر دليل على إندفاعهم ومواجهتهم لخصومهم دون خوف .

ذلك أن نفوسهم ترفض الذل والخضوع والضيم ، إنهم يعصون الملوك ويثورون عليهم ولا عجب في ذلك فمجدهم الذي ورثوه أبا عن أب ينبغي أن يحافظوا عليه ، ليبقى مأثرة ومفخرة لهم يعتزون بها[1].

**ج- العوامل العقلية:**

كان الإسلام سببا في أن خرج العرب من طور البداوة إلى طور الحضارة وقد أخذت تؤسس في كل بلدة كبيرة مدرسة فقهية، فكان في مكة المكرمة، وعطاء وابن أبي سليكة، وفي المدينة سالم، ونافع وعبد الله بن عتبة ... الخ.

وما من ريب في أن النظر الفقهي وما طوى فيه من حوار وجدل كان له أثره الواسع في العقل العربي العام حينئذ، فإن الناس ومعهم الشعراء كانوا يستمعون إلى هذه المجادلات والمناظرات[2].

**د- العوامل الاقتصادية:**

ونحن إذا تأملنا في ظواهر الحياة لهذا العصر الأموي وجدنا الجانب الاقتصادي يتغلغل في صميم كل ظاهرة منها حتى الاتجاهات الروحية في الأفراد، يمكن أن تعلل من بعض جوانبها بعلل اقتصادية، وإذا كان المال والترف هما اللذان أثمرا في نهاية هذا العصر الوليد بن يزيد شاعر الخمريات، فما لا شك فيه أن البؤس والفقر يدفعان في كثير من الأحوال إلى الكبت، وقد ينتهيان بالإنسان إلى الزهد في متاع الدنيا والتعلق بالنسك والعبادة[3].

---

[1]- د.شمس الدين احمد حالو، ديوان الشعراء المعمرين ، ص 97.

[2]- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط.2، دار المعارف، ص 72.

[3]- المرجع نفسه، ص 117.

وكانت دمشق وأموالها مفزع الشعراء، من أقصى الحواضر، فهم يشدون إليها الرحال من الحجاز والعراق، ومن خير ما يصور ذلك قول جرير ويمدح عبد الملك بن مروان على لسان زوجته أم حريزة[1]:

تعزت أم حزرة ثم قالت رأيت الواردين ذوى لقاح

تعلل وهي ساغبة بينها بأنفاس من الشبم القراح

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

أغثني يا فداك أبي وأمي بسيب منك إنك ذو ارتياح

سأشكر إن رددت عليا ريشي وانبت القوادم في جناحي

**ه- العصبية القبلية :**

كانت الدافع المباشر لما ثار من مناقضة بين الشعراء ، في أغلب الأمم، والأخطل تغلى في نقائضه جرير وكان انتصاره لأمية أو لدارم في سبيل قومه ، وكان يفخر ما أثر تغلب وأيامها في جمع مواقفه حتى لقد فخر بها على عبد الملك بن مروان وامتن بموقفه مع الأمويين على الأنصار، وكان الجرير ، على الرغم من نزعته مع قيس ، تميميا يفخر بتميم عامة وبين نوع رهطه الأدنيين خاصة حين يلتحم مع صاحبيه ، فلما قتلت تميم قتيبة القيسي نسب الفخر ذلك حقا ، ليربوع ونبه قيسا إلى أن ذلك الثأر لبني الأهتم ، ثم عاد يجامل قيس عيلان ، وأما الفرزدق غلبت عليه القبلية في هذا الفن وفي سواه فهو زعيم تميم والمحامي عنها، خاصم في سبيلها الخلفاء والولاة ، ونفى جريرا عنها لدفاعه عن قيس عيلان[2]، وساعد الأخطل على يربوع رهط الجرير لما فضل الأخطل دارما على بني كليب بن يربوع ، وتميما على قيس، الفرزدق كان لسان تميم أمام سليمان بن عبد الملك إثر مصرع قتيبة وهو الذي بسط للخليفة رداءه رهنا عن بني تميم وقال في ذلك من نقيضة.[3]

---

[1]- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص 119.

[2]- احمد الشايب ، تاريخ النقائض ، في الشعر العربي ،ط2، ج1،المكتبة النهضة المصرية،ص220.

[3]- ابن ميمون ،منتهى الطالب من أشعار العرب،تحقيق د.حمد نبيل طريفي،دار الصادر،ط1 ،1999، ص 428.

فدى لسيوف من تميم وفى بها ردائي وجلت عن الوجوه الاهاتم

شفين حزازات النفوس و لم تدع علينا مقالا ، في الوفاء لآثم

أبانا بهم قتلى، وما في دمائهم وفاء وهن الشافيات الحوائم

جزعى الله قومي إذا أراد خفارتي قتيبة سعى الأفضلين الأكارم

**و- العوامل الفنية:**

تقوم على قيمة الشعر والمفاضلة بين الشعراء، من ذلك ما جرى من الأخطل حين بعث ابنه مالسكا الى العراق ليأتيه بخبر جرير والفرزدق فقال له ابنه: وجدت جريرا يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق بنحت من صخر، فقال الأخطل الذي يغرف من بحر أشعرهما وقال بفضل جريرا على الفرزدق[1]:

إني قضيت قضاء غير ذي جنف لما سمعت ولما جائني الخبر

ان الفرزدق قد شالت نعامته وعضه حية من قومه ذكر.

فما دخل الكوفة بشر بن مروان قدم عليه الأخطل فبعث اليه محمد بن عمير بن عطارد بألف درهم وكسوة وبغلة وخمر على أن يغير حكمه ويقضى الفرزدق فقال الأخطل قصيدته في ذلك:

أجرير أنك والذي تسمو له كأسيفة فخرت بحدج حصان

فرد عليه جرير[2]:

لمن الديار ببرقة الروحان إذ لا نبيع رماتنا بزمان.

وقيل إن ذلك كا بحضور الشعراء الثلاثة عند بشر بن مروان ومن ذلك ما قال الراعي:

يا صحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا.

وقال:

رأيت الجحش جحش بني كليب تيمم حوض دجلة ثم هابا.

[1]- البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1979م، ص 392.

[2]- ديوان جرير، ص 468.

ففتح بذلك على نفسه باب البائية المشهورة لجرير[1]:

أقلى اللوم عادل والعتاب وقولى أن اصبت لقد اصابا.

فادفع بكفك إن اردت بناءنا ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل.

[1]- المرجع نفسه، ص 58.

**المبحث الثاني: خصائص النقائض وموضوعاته**

**أولا : الخصائص:**

امتاز شعر النقائض بجملة من الخصائص في أرقى عصورها، ودرجة نضجها الفني في تاريخ الأدب العربي ليصبح قائما بذاته في العصر الأموي لما توفرت له أسباب ودوافع قوية مكنته من بلوغ هذا المستوى الذي ظهرت فيه هذه الخصائص الفنية والتي كانت على رأسها:

**التأثر بالإسلام:**

إذا كان من المقرر أن جرير والفرزدق عاشا عيشة بدوية تقرب من الحياة الجاهلية فيها شراب ونساب ومفاخرة والإشادة بالأنساب والأحساب وكان الأخطل مسيحيا، وكانت التأثر منوعا بين تضمين آيات القرآن أو أحكام الإسلام وإنكار ماعداه كالمسيحية وشعائرها، ودخلت هذه المعاني في صلب النقائض فخرا وهجاءا وكان دخولها يبدو مهضوما واضحا في نفوس الشعراء وأكثر ما رأيناه في شعر البعث المحمدية حيث ما كانت هذه السمات سطحية على ألسنة الشعراء لم تمتزج بنفوسهم تماما لجدتها[1].

ومن هذا التأثر ما يبدو في نقيضه الفرزدق المسمات له لامية[2]:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

والمأخوذة من قوله تعالى ( أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا)(النازعات ، 27-28)

كما نجد يقول في موضع آخر:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

[1]- أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص 406.

[2]- ديوان الفرزدق، ص 489.

والمقتبس من قوله تعالى ( مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ )(العنكبوت ،41) ويقول في نقيضة أخرى:

فإن التي ضرتك لو دقت طعمها عليك من الأعباء يوم التخاصم

من قوله تعالى ( ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ) (الزمر ، 31).

ويبدو التأثر في قصة الفيل يتمثلها الفرزدق في هذه النقيضة متحدثا عن الحجاج وطغيانه ومعها قصة ابن سيدنا نوح حين عصى اباه وقال: ( قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ )(هود ، 43) يقول الفرزدق[1]:

فلما طغى الحجاج حين طغى به عنى قال إني مرتق في السلالم

فكان كما قال ابن نوح سأرتقي إلى جبل من خشية الماء العاصم

رمى الله في جثمانه مثل ما رمى عن القبلة البيضاء ذات المحارم

جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم هباء وكانوا مطر خمي الطراخم

وكان جرير أشد تأثر بروح الإسلام وكان لإلتحامه مع الأخطل يحمل على المسيحية وينكر شعائرها، فقد أشار أيضا الى قصة أصحاب الفيل حين أرادوا هدم الكعبة[2]:

لما رأو جم العذاب يصيبهم صار القيون كساقة الأفيال

ورمي الفرزدق والبعيث بالغدر اذ لا يقرأن سورة الاخيار:

إن البعيث وعبد ال مقاعس لا يقرأن سورة الاخيار

وهي قوله تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ ) (المائدة، 01)

[1]- محي الدين محدم على محمد، محاضر الأبرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والأخبار، ص 254.

[2]- ديوان جرير، ص 374.

وليس من المعقول أن ينجوا الأخطل من تأثير الاسلام وكتابه الكريم وهو يأخذ عن هذه اللغة التي هذبها القرآن ويحيا في بيئة اسلامية تأخذ عليه أقطار دنياه ويتلاحى مع زملاء مسلمين ويعيش في بلاط الخلفاء الاسلاميين ومن ذلك قوله في مدح عبد الملك من نقيضه:

إلى إمام تغادينا قوافله أظفره الله فليهنا له الظفر

الخانض الغمر والميمون طائره خليفة الله يستسقي به المطر

والمستمر به أمر الجميع فما يغره بعد توكيد له غدا.

**2ـ الإفحاش في الهجاء والاقذاء فيه :**

في هذه الفتره كانت المنافضة البذيئة عنصرا هجائيا أصيلا ولا سيما بين الجرير والفوز دق، وإذا لاحظ بعض النقاط الامويين خطر غزل عمر بن أبي ربيعه على نساء الحجاز، وكان خطر الفحش الهجائي ناشئا العورات، وأختلاف الشائعات والحاح في وصفها وسرد تفاصيلها بلغه مكشوف واسلوب واقعي، وعلى من اراد تبيين هذه الصورة رجع إلى دواوين الفحول ونقائضهم ففيها حقائق[1] هذه أم جرير يقول فيها الفرزدق[2].

أزرى بجريك أن أمك لم تكن إلا اللئيم من الفحوله تفحل .

قبح الإله مقرة في بطنها منها خرجت وكنت فيها تحمل .

نشقت منى أبيك فهي خبيئة وبها إلى قعر المدلة يضهل .

يبكي على دمن الديار وأمه تعلو على كمر الرجال وتسنل .

*وكان الاخطل دون صاحبيه في هذا النوع من السياب ، ولعل مرجع ذلك خشيته أن يهاجم نساء المسلمين في دوله إسلاميه ترعاه ، أو يخلط مدائحه في الخلفاء بهذا السياب، أو يتورط في شيء لا يلائم طبعه فقلت في شعره هذه الصور القبيحة وعدنا نعثر على نحو قوله في جرير[3].

[1]- احمد شايب، تاريخ النقائض، ص 412.

[2]- ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، ص 461.

[3]- المرجع نفسه، ص 412.

إذا كان منزلك المروت منجحرا يا إبن المراغة يا حبلى بمختار.

جاءت به معجلا عن غب سابعة من ذي لهاله جهم الوجه كالقار .

أم لنيمة نجل الفحل مقرفة أدت لفحل لنيم النجل شخار.

*وعلى نحو قوله في بني غدائه من يربوع :

ـ تم الإياب إلى سوء مدنسة لا يستحين إذا ما احتكت النقر .

**3- الخيال الخصب:**

ومع هذه الوقائع كان هناك خير خصم يبتكر الصور ويبالغ في المعاني ويخترع الوقائع والإحداث، غي أبه بما يرتكب في سبيل ذلك من كذب وبهتان فمع اعتراف جرير بصلاح جعتن وعفافها تجده شنع بها، وعرضها قبيحا ونجد الفرزدق يخترع قصصا غرامية شتى كذلك القصة التي وضعها على أمرؤ القيس (دارة جلجل) وقصة زوجته خدراء بنت زيق ابن بسطام ابن قيس الشيباني التي تزوجها على النواري ما انتهت به حياته مما يشبه (الدراما) وقد علمت فيها معنى قصة جعتن وانها حادث يسير لا خطر فيه[1].

يقول جرير[2]:

نسيتم عقر جعتن واحتبيتم ألا تبا لفخرك بالحبات

وقد دميت مواقع ركبتيها من التبراك ليس من الصلاة

تنادي غالبا وبني عقال لقد اخرجت قومك في النداة

وجدنا نسوة لبني عقال بدار الذل أغراض الرماة.

وكان ردا على ما صور به الفرزدق نسوة بني كليب وأم جرير إذ يقول[3]

جزعتُ إلى هجاء بني نميرٍ وخليْتُ أست أمك للرماة

[1]- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 417.

[2]- ديوان جرير، ص 71.

[3]- ديوان جرير والفرزدق ، ج 2، ص163.

فأبصرني أمك حين أرمي مشق عجانها بالباقرات

وتمسي نسوة لبني كليب بأفواه الأزقة مقعيات

زوايا سكة نبتت حديثا بأخبث منبت شر النبات

يبِعنَ فروجهن بكل فلس كبيع السوق خذ مني وهات

باحراح خبيثات الملاقي شمطن وهنّ غير مختنات

## 4 ـ الميل إلى الإستقصار و حجد الأيام والحوادث والأسماء :

مما جعل النقائض سجلا تاريخيا لصفات القبائل وأيامها وحوادثها ورجالها المشهورين وما ألم بحياتهم من مواقف كريمة مجيده أو وضيعه ذليلة .

وكان ذلك أمرا طبيعيا فكل شاعر حرص على أن يحشد في جانب قومه فضائلهم وأيامهم ومواقفهم وأمجادهم وأن يضع بجوارها مثالب خصمة وهرائم رهطه ومخازيهم إلى غير ذلك من ما تقتضيه مواقف التحدي ومفاخره[1].

*قال الفرزدق في ميميته المشهورة يسرد من أيام وحوادث[2]:

ـ ويوم جعلنا الظل فيه لعامر مصممة تفأى شؤون الجماجم

ومنهن يوم للبريكين اذ ترى بنو عامر ان غانم كل سالم

فمنهن إذ ارحى طفيل ابن مالك على قرزل رجلي ركوض الهزائم

ونحن ضربنا من شنبر ابن خالد على حيث تستسقيه أم الجماجم.

يقول جرير في بني ضبة أخول الفرزدق[3]:

يا ضب قد فرغت يميني فاعلموا خلوا وما شغل القيون الشمالي

---

[1]- احمد شايب، تاريخ النقائض، ص 419.

[2]- ديوان الفرزدق، ص 617.

[3]- ابن مبارك، منتهى الكلب من أشعار العرب، ص 332.

يا ضب علي أن تصيب مواسمي كوزا على حنقي ورهط بلال.

يا ضب إن قد طبخت مجاشعا طبخا يزيل مجامع الأوصال.

يا ضب لولا حينكم ما كنتم غرضا لنيلي حين جد نضالي.

يا ضب إنكم البكار وإنني متخمط قطم يخاف صيالي.

يا ضب غيركم الصميم وأنتم تبع إذا عد الصميم موالي.

ويأخذ الفرزدق في ذكر رجاله الأمجاد في نقيضته اللامية وغيرها واجدا في ذلك مددا خصبا، وفخرا عريضا وجلالا عاليا[1]:

بيتا زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل.

يلجون بيت مجاشع وإذا احتبوا بزوا كأنهم الجبال السئل.

وإذا دعوت بني فقيم جاءني مجر، له العدد الذي لا يعدل.

وإذا الربائع جائني دفاعها موجا كأنهم الجراد المرسل.

هذا وفي عدوتي جرثومة صعب مناكبها نياف، عيطل.

وإذا البراجم بالقروم تخاطروا حولي بأغلب عزة لا ينزل.

وكذلك طبقات الشعراء الذين أورثوه الشعر يقول جرير[2]:

أبنو طهية يعدلون فوارسي وبنو خضاف وذاك ما لم يعدل.

إذا غضبت رميا ورائي بالحصى أبناء جندله كخير الجندل.

عمرو وسعد يا فرزدق فيهم زهر النجوم وبادحات الأجبل.

## 5- الجزالة:

هي الطابع الغالب على النقائض الأموية، وإذا كانت الجزالة تقابل الرذالة والاسفاف اللفظي فقد نجا شعر هذه المناقضة من هذه الرذالة وزاد فخامة وقوة نشأت عن طبيعة الفخر والهجاء وعن

[1]- ديوان الفرزدق، ص 489.

[2]- ديوان جرير، ص 359.

شخصيات الشعراء وفحولتهم التي بلغت ذروتها في الشعر العربي على عهد الأمويين، ويمكن تبيين هذه الجزالة إذا وازنا بين النقائض وبين الشعر الغزلي والشعر السياسي في هذه الفترة ذاتها، فقد الغزل بالرقة الجزالة، وامتاز الشعر السياسي بالسهول والوضوح ثم القوة أحيانا، وكان لهذه الموضوعات أثر واضح[1].

نرى ذلك فيقول جرير:

ألسنا نحن قد علمت معد غداة الروع أجدر أن نغارا.

وأضرب بالسيوف إذا تلاقت هوادي الخيل صادية حرارا.

وأطعن حين تختلف العوالي بمأزول إذا ما نقع ثارا.

وأحمد في القرى وأعز نصرا وأمنع جانبا وأعز جارا.

وصنعه الأخطل ظاهرة جدا رانيته التي تشبه حوليات زهير بن أبي سلمى ومنها قوله[2]:

حشد على الحق عيافو الخنا أنف إذا ألمت بهم مكروهة صبروا.

وإن تدجت على الآفاق مظلمة كان لهم مخرج منها ومعتصر.

أعطاهم الله جدا ينصرون به لا جد إلا صغير بع محتقر.

لم يأشروا فيه إذا كانوا موالية ولو يكون لقوم غيرهم أشروا.

بجانب ذلك أيضا أن هذه الجزالة كانت من طبع جرير والفرزدق وغيرهم، ومن صنعة الأخطل وعبادته الشعر، شأنه في ذلك شأن زهير وبنيه والحطيئة ممن كانوا يعدون قصيدتهم في أناة وقصد وأحكام، وهذه الملاحظة غالبية فلم يخل شعر الأخطر من طبع كما لم يخلو أصحابه من جهد ومشتاق[3].

[1]- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 423.

[2]- ديوان الأخطل، ص 105.

[3]- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 424.

ولعلنا لا نحتاج إلى استشهاد لهذه الخاصة ، فكل شعر النقائق شواهد عللى ذلك ، نجد ذلك عند الفرزدق في مثل قوله:[1]

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز واطول

بيتا بناه لنا المليك وما بنى حكم السماء فإنه لا ينقل

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل

فادفع بكفك إن أردت بناءنا ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

## 6- تكرار الايام والحوادث والمعاني:

اذا كانت المناقضة طويلة العهد كثيرة العدد، فانها تستنفذ المعاني،بسرعة وتستغرقها بحيث يفرغ الشعراء ما في جعبتهم في عدد قليل منها لذلك عمدوا، الى التكرار وترديد المعاني والايام والاحداث، فالاخطل يكرر أيام قومه على قيس، ومآثر دارم، ومثالب كليب والفرزدق يفعل ذلك بالايام والرجال، وأما جرير فقد لاحظ النقاد الحاجة على الفرزدق بمعاني الزبير، وجعثن والقبول والزنا، والنفي من المدينة والسيف، وكأنهم عدوا ذلك قصرا في هجائه وضيقا في مجاله، وكذلك ردد مع الأخطل الخمر والكفر وقذارة نسوة ثعلب وهزائم رجالهم[2].

يقول جرير في نقيضه[3]:

فلو ايام جعثن كان قومي هم قوم الفرزدق ما استجارا

فظل اليقين بعد نكاح ليلى يطير على سبالكم الشرارا

ويقول في أخرى:

لاقيت أعين والزبير وجعثنا اعدال مخزية عليك ثقال

ودع الزبير مجاشعا فترمزت للغدر الام آنف وسبال

---

[1]- ديوان الفرزدق، ص489.

[2]- احمد شايب، تاريخ النقائض، ص 423.

[3]المرجع نفسه، ص 424.

ويقول للأخطل في قومه[1]

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجيرائيل وكذبوا ميكالا

ويقول في نقيضة أخرى :

أفا بالصليب ومار سرجس تتقي شهباء ذات كتائب جمهورا

**7 ـ الهجاء العاري أو التصوير المثير :**

في هذه الألفاظ المفردة التي تدل معانيها دلالة حقيقة سافرة لا رمز فيها ولا كناية وهذا ما رأينا مثله في نثر الجاحظ، وفي كتاب الحيوان حاصة فقد وجدت هؤلاء الفحول يؤدون العورات بألفاظها الحقيقية دون مواراة بل يختارون من أسمائها أدلها على الفحش وأقربها إلى الإبتذال وفي الصور تجد العورى والسفور شنيعا قبيحا حسيا كما رأيت الأخطل يصف نسوة كليب[2] وكقول جرير:

ـ نزتّ أمّ الأخطيل وهي تشوى على خنزير تحسبه عزالا .

ـ تظل خمر تخلج أخدعيها وتشكو في قوائمها أمدلالا .

ـ من المتولجات النشاوى و لم ثلج الخدور ولا الحجالا.

*وكانت الواقعية تبدو آحيانا كثيرة في المعاني فهذا الفرزدق يلتج ماذا يلتجئ إلى عمر بن لجأ ليعرف منه مثالب بنى جعفر بن كلاب وما يهاجون فلما أخذها عنه هجاهم بها في قصيدته التي يقول فيها[3]:

ـ وتبنت ذا الأهرام يعوي ودونه من الشام وراعانها وقصورها .

ـ إلى و لم أترك على الأرض حية . ولا نايحا إلا استسر عقورها.

[1]- ديوان جرير، ص361.

[2]- احمد شايب، تاريخ النقائض، ص 417.

[3]- ربيع الابرار ونصوص الأخبارالزمخشري ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان،ط1412،1ه-1992م ص 165.

## 8- تكرار المعاني:

تعتبر كمية المعاني في النقائض الأموية كانت قليلة فاضطر الشعراء إلى تكرارها ، نعم إن هذا التكرار كان في صور مختلفة أحيانا ولكنها صور ضاقت هذا التنوع الكافي والتجديد المقبول وأما عن صحة هذه المعاني فقد رأيت جريرا مثلا يرمي جعتنا بغير حق والفرزدق يشنع بأم جرير تشنيعا باطلا، والأخطل يفخر بأيام ليست له .

وأما عن ذلك البهتان والمبالغة فكان التوجيه يبرر بعضها كمعاني السيف ، وأسر الحاجب

ابن زرارة، والغدر بن الزبير بن العوام وادعاء على ذلك على أن الكذب في الشعر لا يتسع لكل ما ادعى هؤلاء وحادوا فيه عن الجادة الصواب.[1]

يقول الفرزدق:

ولست بأمخوذ بلغو تقوله إذ لم تعمد عافدات العزائم

## 9- العواطف :

كانت العواطف كلها بغضا وحنقا في الهجاء وكانت حبا وأولها في النسيب وكانت تحديا وتعالي في الفخر[2]

لقد كان نسيب جرير يصوب حب الرجل للمرأة أو هذا الشعور الإنساني الطبعي الذي يسكن في نفس الرجل نحو المرأة لذلك كان رقيقا شجيا بخلاف نسيب الفرزدق فكان صنعة او جافيا غليظا ليس فيه رقة جرير ولا صدقة وكذلك الأمر في الأخطل وكان فخر الفرزدق بقومه صادق طبيعيا، وكذلك فخر جرير بقوله أمام ثعلب ويربوع أمام دارم.

[1]- الزمخشري ، ربيع الابرار ونصوص الأخبار ص 425.

[2]- أحمد الشايب ، تاريخ النقائض ، ص425.

يقول الفرزدق:

إلا ما تلفتين وأنت تحتي وخير الناس كلهم أمامي

متى تردي الرصافة تستريحي من التهجير والدر الدوامي

ثم قال:

الآن يجيء جرير فأنشده البيتين فيقول : [1]

تلفت أنها تحت ابن قين إلى السكيرين والفأس السكهام

متى ترد الرصافة تخز فيها كخزيك في المواسم كل عام

إذا أصحت هذه الحكاية دلت على أن المناقضة كانت في بعض اللأحيان تستحيل صنعة فنية كما يفعل المتبارون في الغناء والملاحاة بالواويل دون حقد ، بدليل ماكان يعرف كل صاحبه من قيمة فنية.

## 2- موضوعات فن النقائض:

تشبه قصيدة النقائض القصيدة العربية في كونها تشمل على عدة موضوعات، فتبدأ ببكاء الأطلال ثم وصف الرحلة في الصحراء، ثم الفخر والهجاء وتتصل الحماسة بالفخر والهجاء لما تشمل على المدح، الوصف، الرثاء.

### أ-الفخر:

هو تعداد الصفات تحسين السيئات، وهو رفيق الأداب كلها منذ كان للشعوب آداب وهو عند العرب باب واسع من أبواب شعرهم، فلا تكاد تخلو هذه الآداب من النقائض التي كان يفتخر بها الشعراء الجاهليون مثل: الكرم والشجاعة والوفاء وحماية الجار[2].

ففي نقيضة جرير التي مطلعها:

ألا حي الديار يسعد أني أحب لحب فاطمة الديار.

---

[1]- أحمد الشايب ، تاريخ النقائض ، ص 426.

[2]- حنا الفاخوري، الفخر والحماسة، دار المعارف ،القاهرة، مصر،ط1119،5 ،ص 5.

وقوله:

وأحمد في القرى وأعز نصرا وأمنع حاميا وأعز جارا.

غضبنا يوم طخفة قد علمتم فصفدنا الملوك بها اعتصارا[1].

في البيت الأول يفتخر جرير بمناقبه ومناقب قومه وعلى رأسها القرى، أما في البيت الثاني نلاحظ أنه استعمل اسم التفضيل أحمد بمعنى أنهم أهل الكرم والجود.

يقول الفرزدق[2]:

إني لا أستحي وإني لفاخر على طيء بالأقرعين وغالب.

إذا رفع الطائي عينيه رفعة راني على الجوزاء فوق الكواكب.

وما طيء إلا قبائل أنزلت إلى أهل عين التمر من كل جانب

فهذه حديا الناس فخرا على أبي أبي غالب محي الوبيد وحاجب.

وفي نفس الصدد نجد الفرزدق يفتخر بوراثة المكارم فيقول :

وإن مجاشعا قد حملتني أمورا لم أضيعها كبارا

قرى الأضياف، ليلة كل ريح وقدما كنت للأضياف جارا[3]

والمقصود هنا في قول الأول أن الشاعر يفتخر بنسبه ويهجو بني طيء، أما في قول الثاني فيفتخر بمكارمهم في استضافة الضيف عندما يقصدهم أو تنقطع به السبل في الشتاء البارد والجو الصعب .

وفي نفس السياق مفتخرا بكرم أجداده وكثرة عطاياهم يقول:

لا قوم أكرم من تميم إذا غدت عوذ النساء يسقن كالآجال

الضاربون إذا الكتيبة أحجمت والنازلون غداة كل نزال

[1]- ديوان جرير، ص 216.

[2]- ديوان الفرزدق، شرحه الأستاذ على فاعور، ص 40-41.

[3]- ديوان الفرزدق ، ص307.

والضامنون على المنية جارهم والمطعنون غداة كل شمال[1]

وقوله أيضا :

تعالوا فعدوا يعلم الناس أينا لصاحبه في أول الدهر تابع

وأي القبيلين الذي في بيوتهم عظام المساعي واللهى و الدسائع

يقول عبيدة بن الأبرص :

ولقد شببنا بالجفار لدارم نارا بها طير الأشائم ينعب

ولقد مضى منا هناك لعامر يوم عليهم بالنسار عصبصب

حتى سقيناهم بكأس مرة فيها المثمل ناقعا فليشربوا.

بمعضل لجب كان عقابه في رأس خرص طائر يتقلب[2].

يفتخر عبيد بن الأبرص بيومي النسار والجفار فصور عبيد شجاعة قومه وانتصارهم على أعدائهم، فقد كان جيشهم عظيما يضيق منه الفضاء لكثرته، استطاع أن يلحق الهزيمة بالأعداء ويذيقهم كأسا مترعة بالسم الناقع.

ومن الفخر ما نجد في معلقة عمرو بن كلثوم يقول[3]:

أبا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا

بأنا نورد الرايات بيضا وتصدرهن حمرا قد رويتا.

وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا.

وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمي المحجرينا.

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا

وانزلنا البيوت بدي طلوح إلى الشامات تنفي الموعدينا.

---

[1]- ديوان الفرزدق ، ص308.

[2]- شمس الإسلام أحمد حالو ،ديوان الشعراء المعمرين، ناشير أبوظبي للثقافة التراث، دار الكتب وطنية ط1،أبوظبي 2010ص 95.

[3]- المرجع نفسه، ص 96.

وقد هرت كلاب الحي منا وشدبنا قتادة من يلينا.

أشاد الشاعرفي هاته الأبيات إلى الفخر بأيام قومه الأشداء الأقوياء الذين لا يعودون إلا مكللين بالنصر، وقد اشربت راياتهم البيضاء دماء الأعداء فعادت حمراء من المعارك، وهذا أكبر دليل على اندفاعهم ومواجهتهم لخصومه دون خوف.

ذاك ان نفوسهم الذل و الخضوع الضيم، إنهم يعصون الملوك ويثورون عليهم ولا عجب في ذلك مجدهم الذي ورثواه أبا عن أب ينبغي أن يحافظوا عليه، ليبقى مأثرة ومفخرة لهم يعتزون بها[1]

**ب-الهجاء:**

هو نوع من الشعر نقيض المديح يكتب عندما يريد الشعر أن يعبر عن سخطه واشمئزازه من شخص آخر، وهو دعامة مهمة في القصائد ويقوم على ثلاثة أمور:

**الأول:** يوجه إلى الفرد ينقم عليه الشاعر فيحاول إظهار مثالبه ويدعو الى احتقاره.

**الثاني:** يوجه الى جماعة من الناس قد تكون هذه الجماعة قبيلة أو مجتمعا ويقوم الشاعر بإظهار مثالبهم وسلب فضائلهم.

**الثالث:** يتناول العيوب الجسدية والعاهات البارزة كقصر القامة أو العرج ويناول العيوب النفسية كالغدر والخيانة ولا سيما ابن الرومي يقول:

وجهك يا عمر فيه طول وعي وجه الكلاب طول[2].

فهذه الضروب الثلاثة نجدها مجتمعة في نقائض جرير والفرزدق والأخطل، وهذا ما نلمسه في هذه الأبيات: الفرزدق يتحدث عن مكارم ومثالب قومه ونافيا إياها عن خدمة يقول:

من مثل فارس ذي الخمار والقعنب والحنتفين لليلة البلبال.

والردف إذا ملك الملوك ومن له عظم الدسائع كب يوم فصال.

[1]-شمس الإسلام أحمد حالو ديوان الشعراء المعمرين، ، ص 97-

[2]- بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1971، ص 24.

وقد جاءت هذه المكارم في سياق هجاء جرير للفرزدق إذ يقول[1]:

هذا تقدمنا وزجرى مالكا لا يردينك حين قينك مال.

لما رأوا جم العذاب يصيبهم صار القيون كساقة الأفيال.

يا قرط!إنكم قرينة حرية واللؤم معتقل فيون عقال.

ـ أمسى الفرزقد للبعيث جنيبة كابن اللبون قريئة المشتال .

ـ أرداك حيثك يا فرزقد محليا مازاد قومك ذاك غير خبال .

ـ ولقد وسمت مجاشعا بأنوفها ولقد كفيتك مدحة إبن جعال .

*يقول حسان بن ثابت[2]:

ـ دع ذا وعد القريض في نفر يدعون مجدي ومدحتي شرف .

ـ إن أدع في المجد ألقهم سلفا أهل فعال يبدو إذا وصفو.

ـ بلغ عني الثبيت قافية تدلهم إنهم لنا حلفوا .

ـ بالله جهدا لنقتلنكم قتلا عنيفا والخيل تنكشف .

ـ وقد بدا في الكتيبه النصف أو ندع في الأوس دعوة هربا .

ـ كنتم عبيدا لنا نخولكم من جاءنا والعبيد تضطعف .

ـ كيف تعاطون مجدنا سفها وأنتم دعوة لها وكف .

*هاته الأبيات قالها حسان ردا على قيس بن الخطيم الأوسي في يوم بعاث بين الأوس والخارج، وقد هدد فيها الأوس ومجاهد وافتخر بقومه أهل المجد والأفعال العظيمة الذين سيقتلون أعدائهم قتلا عنيفا.

[1]- ديوان جرير، ص 375.

[2]- شمس الدين أحمد حالو، ديوان الشعراء المعمرين، ص 103.

يقول الفرزدق[1]:

نقول كليب حين منت سبالها وأخصب من مرويها كل جانب.

لسويان أغنام رعتهن أمه إلى أن علاها الشيب فوق الدوائب

ألست إذا القعساء أنسل ظهرها إلى آل بسطام بن قيس بخاطب

هنا نرى أن الفرزدق يهجو جرير ويفتخر بقومه.

**ج- الوصف:**

هو تصوير خواص الأشياء الحسية والمعنوي أو هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، وأحسن الوصف هو ما نعت به الشيء.

والوصف أكثر أبوب الشعر العربي وكثير من النقاد يرى أن الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، وقد وصف شعراء الجاهلية كل ما وقعت عليه أعينهم من شتى ألوان بيئتهم التي عاشوا فيها ومظاهر الحياة التي ألفوها في علاه البيئة واستمر الأمر كذلك في العصر الأموي[2].

يقول على بن الجهم يصف الورد:

يضحك الورد إلا حين أعجبه حسن النبات وصوت الطائر الغرد.

بدا فأبدت لنا الدنيا محاسنها وراحت الراح في أثوابها الجدد.

ما عاينت قضب الريحان طلعته إلا تبين فيها ذله الحسد.

بين النديمين والخلين مضجعه وسيره من يد موصولة بيد.

قامت بحجته ريح معطرة تحلو القلوب من الأوصاب والكمد.

وهكذا ظهرت براعة الشعراء في الوصف وقدرتهم على التصوير وقد ساعدهم على الإجادة فيه والسمو بخياله ومعانيه، مما يفتح أكمام الشاعرية وينمي الإحساس بالجمال ويقوي ملكة التصوير[3].

---

[1]- ديوان الفرزدق، ص 88.

[2]- الفخر والحماسة، حنا الفاخوري، ص 173.

[3]- المرجع نفسه، ص 175.

ولعبيد بن أيوب العنبري إجادة وشهرة في وصف الصحاري والمجاهل وما فيها من حياة وكائنات، وكان مزاحم العقيلي ينعت الفلوات فيجيد وشهد له بذلك الفرزدق والأخطل وجرير عند عبد الملك، كما كان الفرزدق والخطيئة يجيدان الخيل صفات والقسى والنبل[1].

**د ـ الرثاء :**

ـ هو الآخر من الفنون القديمة التي عرفت قديما وبرزت في شعر النقائض وهذا هو مانجده عند جرير في رثاء إبنه سوادة[2]:

ـ قالو نصيبك من أجر فقلت لهم من للعرين إذا فارقت أشبالي .

ـ لكن سوادة يجلو مقلئ لحم باز يصر صبر فوق المرقب العالي

ـ قد كنت أعرفه مني إذا غلقت رهن الجياد ومد الغاية الغالي .

ـ إنا تكن لك بالديرين باكية فرب باكية بالرمل معوال .

ـ كام بو عجول عند معهده إلى جلد منه و أو صال .

*نرى أن جرير قد رثى إبنه سوادة حيث كان معجبا به وبكى عليه بكاءا شديدا حيث هلك بالشام

ـ وكذلك نجد رثائه لأبيه غالب يقول[3]:

ـ إني ضمنت لمن آتاني ماجنى وأبي فكان وكنت غيره غدور .

ـ يرقى المنين رميم أعظم غالب فيقى بها ويفك كأسير .

*ففي هذين البيتين قد عدد الفرزدق مناقب أبيه، بما فيها من الجود والكرم والعطاء في فك الأسرى، وحسن المعاملة وخصوصا معاملته له كإبن .

---

[1]- المرجع السابق، ص 174.

[2]- دوان جرير، ص 345.

[3]- أبي البركات الانباري، كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين البصرين والكوفيين، الناشر مكتبة الخانجي ،بالقاهرة، ط1، ص 95.

* في المقابل نجد جرير يقول في رثاء زوجه خالدة بنت سعد أوس بن بني كليب، وهي أم إبنه خزرة في قصيدة من النقائض[1].

ـ لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار .

ـ ولقد نظرت وما تمنع نظرة في اللحد حيث تمكن المحفار .

ـ فجراك ربك في عشيرك نظرة وسقى صداك مجلجل مدرار .

ولهث قلبي إذا علتني كبرة وذوو التمائم من بنيك صغار

أرعى النجوم وقد مضت غورية عصب النجوم كانهن صوار

هنا نرى أن جرير يعترف بالحق الكامل للزوجة وبطموحه المشروع ويسجل لوعته بهدوء عجيب وخجل شديد وكأنه يقول ذلك هو يطأطأ رأسه ويطلق حسرة تشق القلب، على فقدانه لزوجته الحبيبة وأم ابنائه الثلاثة مما جعل نقيضه الفرزدق يستغل تلك الالتفاتة من جرير ليهاجمه من خلالها، حيث أن الفرزدق ينظر إلى النساء نظرة ازدراء واحتقار عكس جرير.

يقول قس بن سعادة الأبادي[2]:

نديمي هنا طالما رقدتما أجدكما لا تقضيان كراكما

اجدكما ما ترثيان لموجع حزين على قبريكما قد رثاكما

ألم تعلما ما لي برواند كلها ولا بخزاق من صديق سواكما

جرى النوم بين العظم والجلد منكما كأنكما ساقي عقار سقاكما

أصب على قبريكما من مدامة فإلا تذوقاها ترو ثراكما

نرى أن قيس بن سعادة قد رثى صديقيه اللذين كانا كأخوين له، مبينا فاجعته بفقدانهما حتى إنه بدأ أبياته متوسلا إليهما أن ينهضا من نومهما العميق ليريا ما حل بحاله إثر ذهابهما، فقد استولى عليه الحزن وفقد بموتهما أصدقائه الوحيدين[3].

[1]- ديوان جرير شرحه عمر الفاروق القعقاع، ص 16.

[2]- شمس الإسلام أحمد حالو، ديوان الشعراء المعمرين، ص 113.

[3]- المرجع نفسه، ص 114.

**المبحث الثالث : الشعراء فن النقائض في العصر الأموي**

يرى الباحث أن النقائض فن تطور في عصر الأموي وصار أكثر تعقيدا مع تطور الحياة، فكان لها روادها ومن برع فيها، وبقي حتى يومنا هذا نتدارس فنهم، وكان أشهرهم جرير والفرزدق والأخطل، حيث أحيوا هذا الفن ما عاشوا وزاد زمن من نقائضهم على أربعين عاما، فهؤلاء يشكلون عصب حركة النقائض، فقد انقسم الناس والنقاد بسبب هؤلاء الثلاثة أحزابا وجماعات كل منها ينتصر لشاعر، ولم يكن التعصب لهذا أو ذلك بريئا من الدوافع القبلية أو الدينية أو الشخصية.

ونلاحظ بوجه عام أن كل من كان يميل إلى الشعر الجزل المتمير فإنه يفضل الفرزدق، وأن الذين فضلوا جريرا كانوا ممن يعجبهم الشعر السهل الرقيق، وأما من كان يؤثر الشعر المهذب المنقح فقد فضل الأخطل.

وبما أن البحث يتناول الثنائيات التضادية في نقائض جرير وأخطل فسوف أذكر نبذة مختصرة عن كل واحد منهم لإتمام الفائدة.

**الأخطل:**

هو أبو مالك غايث بن غوث من بني عمرو بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر من بني غنم بن تغلب، وكانت أمه تدعى ليلى وكنيتها أم كعب.

ولد غياث بن غوث في الحيرة نحو سنة (20هـ/649م) ونشأ فيها يقول الشعر مغرما بالهجاء، وكان جريئا على الناس سفيه اللسان فلقب بالأخطل[1]، لإتفاق هذا اللقب وما طبع عليه في شخصيته، فالأخطل هو اضطراب الكلام، وابن دريد يزعم أنه لقب كذلك لسفهه اضطراب شعره الأصبهاني ينعته بالقول "إن الأخطل السفيه" أما السيوطي فيرى أن ذلك اللقب لحق به لصفة جسدية فيه، وهي طول أذنيه.

[1]- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي من مطلع الجاهلية الى سقوط الدولة الأموية دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، 1981، ص 555.

كما لقب بـ "دَوْبَلْ" أي الحمار قصير الذنب، بل قيل أنه ولد الخنزير وقد لقبه جرير بذلك حين قال يهجوه:

بكى دَوْبَلْ لا يرقإ الله دمعة ألا إنما يبكي من الذل دوبل

ويظهر أن الأخطل أستاء من هذا اللقب وقال: والله ما سمتني أمي دوبلا إلانهارا واحدا فمن أين سقط الى هذا الخبيث؟

إن الأخطل كان رجل موقف يقفه مما يطرأ عليه، أو مما يخوض فيه لا يحفل برأي الآخرين ولا يتعلق لهم به، كما أنه كان يعاصيهم بما يراه، وإن دهشوا له وصعقوه مما يجعلنا نميل إلى القول بأنه قد صحب الأخطل منذ فتؤته الأولى وعي جاء بذاته وشعور بالتفوق في الفطنة والرأي على من دونه، يعارضهم بقوله وفعله، فيحرجون عليه بذلك ولا يحرج، كأنما يحكم عليهم بالخذله ولنفسه بالفطنة، نرى أن طبع المراغمة والعصيان لازمة طيلة حياته، لم يتعرض به لذويه وبني قومه وحسب، بل للدولة الأموية جيمعا، يعيش في أحضانها ولا يعتنق دينها ولا يستذل لها، بل تراه يخرج عليها ويعلن العصيان في احتسائه للخمر، وهو مقيم بالبلاط وبحمله الصليب على صدره لا يبرحه ولا يتخلى عنه[1].

**جرير:**

هو جرير بن عطية بن الحطفي (هو حذيفة) بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهو يلتقي بالفرزدق في جدهما الأعلى تميم، وأمه هي أم قيس بنت معيد من بني كليب بن يربوع، كذلك كانت جدته لأبيه وهي النوار بن يزيد، من بني كليب.

ولد جرير خديجا لسبعة أشهر باليمامة سنة (30هـ/650م)، ونشأ فقيرا يرعى إبل قومه[2].

[1]- إيليا حاوي، الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره، المرجع في أعلام الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

[2]- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي من مطلع الجاهلية الى سقوط الدولة الأموية دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، 1981، ص

فجرير إن لم يكن نشأ في بيت مجد فقد نشأ في بيت شعر، وظل الشعر يتوارث في أبنائه وأشعرهم بلال، وحفيدة عمارة من الشعراء المشهورين في العصر العباسي، ويقول ابن قتيبة كان لجرير عشرة من الولد فيهم ثمانية ذكور[1]، وكان يكنى بأبي حرزة، وحرزة كبيرة أولاده.(03)

بدأ جرير نظم الشعر في مطلع حياته رجزا، منذ المهاجاة بن ذهيل وبني الحطفى، في أيام معاية في الأغلب ثم أن جرير مدح يزيد بن معاوية وأخذ منه جائزة كانت أول جائزة نالها من خليفة بعد هذا عاد الى اليمامة.(04)

كانت نفسية جرير هينة لينة، فيها تواضع وفيها استكانة... بسبب تعمق الإسلام فيه من جهة وبسبب التواضع في نشأته وأسرته من جهة ثانية.(05)

كما أن جرير شاعر وجداني مطبوع يجمع منوح المعاني الى فصاحة الألفاظ ومتانة التركيب وعذوبة السبك وشعره كثير السيرورة على الألسن وشديد العلوق بالذاكرة مطاوع للغناء وقد امتاز جرير بالفنون الوجدانية: بالنسب والغزل وبالرثاء وبالهجاء، ولجرير براعة في المديح والوصف وكان جرير يجبد الرجز أيضا.

والاجماع واقع على أن جرير قد أوتي موهبة شعرية ثرة وحسا موسيقيا ظهر أثرهما في هذه الموسيقى العذبة التي تشيع في شعره كله، وكان له من طبعة الفياض خير معين للاتيان بالتراكيب السهلة التي لا تعقيد فيها ولا إلتواء، فكأنك تقرأ نثرا لا شعرا ومن هنا نفهم من إرادة القدماء بقولهم: "جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من ضخرة".

**الفرزدق:**

هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة من مجاشع بن دارم تميم، كان الفرزدق من فرع من بني تميم وكان والده غالب يحيى حياة بدوية ويملك إبلا و أنعاما كثيرة ولما بنيت البصرة في 14 هجري نزل جنوبها واشتهر هنالك بكرمه ، وأم الفرزدق لينة بنت قرضة الضبية وجدته لأبيه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس ، أما الفرزدق نفسه فقد ولد في كاضمة نحو سنة( 20

[1]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط.14، ص 277.

هـ - 642م) في خلافة عمر بن الخطاب ونشأ نشأة بدوية، والفرزدق لقب له لغلظ الوجه، توفي بالبصرة وقد قارب المئة.[1]

كانت ولادة الفرزدق بالبصرة ، درج في عش الأدب وشب في ربوع الفصاحة ، أخذ أبوه يررويه الشعر ويعلمه القريضة حتى تفتقت قريحته ، إنطلق به لسانه فقد قدمه أبوه ذات يوم إلى أمير المؤمنين علي كرم الله ووجهه بعد واقعة الجمل مفتخرا بجودة شعره على صغره فقال لله عليه السلام:( إقرأه القرآن فهو خير له ) فارتسمت هذه الكلمة في ذهنن الفرزدق حتى كبر ، وصمم على حفظ اللقرآن فقيد نفسه وأقسم أن لا ينفك حتى يحفظه وبر بيمينه.

ثم اتصل بالولاة المصريين فنالهم بالمدح والهجاء ، أجازوا بالإدناء والإقصاء ومدح خلفاء أمويين بالشام ولا سيما عبد الملك، فوصلوه ولكنه لم ينفق عندهم لتشييعه لآل علي.

وقد تهاجى هو وجرير فيما يعرف بالنقائض ويقال أن هجاءه أبعين سنة دون أن يغلب احدهما صاحبه .[2] حيث استطار بينهما الهجاء ونما فيهما قوة المبادعة والمجادلة وانشعب الناس في أمرهما شعبتين تناصرا كل منهما أحد الشاعرين. وجعل أحد أشياع الفرزدق أربعة ألاف درهم وفرسا لمن يغلبه على جرير وكان الفرزدق فاجرا فاحش النطق، خبيث الهجاء ، ضعيف الدين ، قاذفا للمحصنات، وقد استعان بكل رذاءته وفضائله على جرير فما هزمه ولا أسقطه.[3]

[1]- عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج1 ، (من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية ) ، ص 249.

[2]- عبد الحميد القط، دراسات في الشعر العصرين الإسلامي والأموي ، 1987، ص65.

[3]- أحمد حسن زيات ، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة للطبع والنشر ، مصر، القاهرة ، دط ، ص 164.

# الفصل الثاني

## فضاءات الثنائيات الضدية في نقائض جرير والأخطل

المبحث الثاني : الفضاء الديني

المبحث الثالث: الفضاءات الإجتماعية

المبحث الأول : مفهوم الثنائيات الضدية

**المبحث الأول : مفهوم الثنائيات الضدية:**

جاءت الثنائيات في اللغة من: (ثنى: ثنى الشيء ثنيا، رد بعضه على بعض ... وثنيت الشيء ثنيا، عطفه وثناه أي كفه ... وثنيته تثنية أي جعلته اثنين ... وأثناء الوشاح ما انثنى منه ... والثني الاخفاء)[1]، وقيل الشيء أي ثنى الشيء ثنيا، رد بعضه بعض[2]، وتأتي بمعنى إعادة الثني وجعله اثنين[3].

وفي الاصطلاح فقد شكلت الثنائية الضدية حضورا في بداية خلق الله عز وجل للكون والحياة الإنسانية، تمثلت بخلق النبي آدم "عليه السلام" وبعده زوجه حواء لتشكيل أول ثنائية (الرجل / المرأة) وهناك ثنائيات كونية منها: (الليل / النهار) و (الماء / اليابسة)، قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)[4] ويتضح معناها بأنها (من الأشياء ما كان ذا شقين وثنائية القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون، كثنائية الأضداد وتعاقبهما أو ثنائية الواحد والمادة من جهة، ما هي مبدأ لعدم التعيين، أو ثنائية الواحد وغير المتناهي عند الفيثاغوريين، أو ثنائية عالم المثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون)[5].

وإن وجود الثنائيات الضدية ينطوي على وجود تقابل دائم بين طرفين لكل نمهما قوانينه الخاصة، فلا ينفي أحدهما الآخر بل يدخلان في علاقة تواز، وبهذا الشكل لا يتناقضان بل يتكاملان تربط بهما علاقة التضاد، مثل (الخير/الشر و النور/الظلام)، فضلا عن تكون لها نظرة

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، 1955م ، مادة (ثنى).

[2]- المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، راجعه: عبد الوهاب السيد عوض، مؤسسة روز يوسف الجديدة ، ط1 ، 1992، 344/3.

[3]- ينظر: نصار سيد أحمد، المعجم الوسيط، تأليف، ص 142.

[4]- سورة هود، الآية 07

[5]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، ص 379-380.

فلسفية عميقة تتجاوز السطحي بين طرفيها وتقوم على الربط بين الظواهر التي تبدو منفصلة[1] فعلاقة التضاد بين طرفي الثنائية تكون نوع من العلاقات التي تحصل بين المعاني ((بل ربما كانت أقرب إلى الذهني إلى أي علاقة، ولا سيما بين الألوان نذكر البياض يستحضر في الذهن السواد فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني))[2].

وكان مصطلح الثنائيات الضدية في القديم عدة مسميات منها المطابقة والمقابلة لكن يبقى التضاد والأكثر دلالة، هذا ما أكده الدكتور أحمد مطلوب فقال "ويبدو من ذلك أن تسمية مطابقة وأطباقا غير مناسبة، ومصطلح التضاد أكثر دلالة على هذا الفن، لأن التضاد يدل على الخلاف"، ومن الذين ايتفادوا من دراسة الثنائيات الضدية (كريماص.) الذي صنف الثنائيات عن طريق التقابل، فجعلها أقساما عدة منها تقابلات متناقضة مثل (أعزب/متزوج) ومتضاد مثل (صعد/نزل).

وقد حملت اللغة العربية الثنائيات الضدية، ففي القرآن الكريم ثنائيات ضدية في مواضيع متعددة، يمكن أن نشير إلى بعضها:

ثنائيات الخير / الشر قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)[3] – (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[4].

ثنائيات الظلمات / النور قوله تعالى (ا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)[5].

---

[1]– ينظر، د.سمر الديوب ، الثنائيات الضدية، بحث في المصطلح ودلالته، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2009، ص 16.

[2]– د.ابراهيم أنيس، في اللهجات الغربية،مطبعة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، مصر ، 1992، ص 179.

[3]– سورة العاديات، الآية 8.

[4]– سورة البقرة، الآية 216.

[5]– سورة الأنعام، الآية 1.

كما كان للغربيين اهتمام بدراسة الثنائيات المتضادة في النصوص الأدبية واهتمامهم بالتضاد كظاهرة دلالية لإدراكهم قدرة التضاد على ابراز جمالية النصوص الأدبية واستجلاء دلالتها العميقة وكيفية تعامل مبدع تلك النصوص مع مفردات اللغة، وقد تأثر بدراساتهم عدد من نقادنا المحدثين من أمثال (كمال أبي ديب) وظف الثنائيات إلى ثلاثة علاقات:

- علاقة تنفي سلبي أو تضاد مطلق.
- علاقة توسط تهدف إلى إعادة الخلق عبر التحول والتحويل.
- علاقة تكامل وتناغم وإغناء واخصاب[1].

وفي النقد العربي القديم يلتقي مصطلح الثنائيات الضدية ففي بعض جوانبه مصطلح الطباق والتضاد والتكافؤ، إذ يماثل مصطلح التكافؤ مصطلح الطباق الذي اختلف النقاد في تحديد تسميته فتارة يطلقون عليه المطابقة ، وتارة الطباق ، وتارة التطبيق ، وهو في النهاية على تعدد تسمياته يعني لديهم التكافؤ والتضاد والمقابلة. لقد تراوح استعمال النقاد القدامى مصطلح التضاد إذن بين الطباق والتكافؤ والمطابقة والمقابلة وربما لم يستطع هؤلاء النقاد الوصول إلى وظيفة التضاد في البيت الشعري وفعاليته . ويمكن أن نستثني الناقد الفذ عبد القاهر الجرجاني الذي تكلم على أهميته في تشكيل الصورة الفنية قائلا في حديثه عن التمثيل وتأثيره في النفس. "وهل تشك في انه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب"[2] حيث أن دراسة الشعر.

[1]- كمال أبو ديب،جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، 1979، ص 9-10.

[2]- سمر الديوب، اللثنائيات الضدية دراسات في الشعر القديم ، ص32.

غير أن ما يميز دراسة النص الشعري عبر ثنائياته الضدية هو أن الظاهرة (الثنائيات الضدية) لا تعني بحد ذاتها ، وإنما الذي يعني هو العلاقات التي تنشأ بين الظاهرة وبين غيرها من الظواهر في النص حين يتشكل كلها ثنائيات ضدية لكل طرف منها خصائصه المميزة.[1]

الثنائيات الضدية في النقائض تقنيات ضرورية فرضتها طبيعة هذا الفن ، لأن النقيضة نص يقوم كله على التوتر والصراع ، وهذا يستدعي بنية التضاد بكل أشكاله لأن الضد بالعامة يعكس دائما حالة التنافر والتناقض ، وذلك على الرغم من تلك الضرورة الفنية والموضوعاتية فقد استطاع هؤلاء الفحول ببراعة فائقة أن يجيدوا توظيف هذه التقنيات توظيفا لا يجعلك تشعر معه بأدنى تكلف تستمد أغلب مادتها من الفضاءات (الاجتماع ، الدين ،التاريخ ) فهي تمثل المصادر الرئيسية التي شكل منها الشعراء معظم ثنائياتهم.

[1]- كمال أبو ديب،جدلية الخفاء والتجلي، ص171.

**المبحث الثاني : الفضاء الديني :**

خلق الله تعالى البشر من أجل غاية نبيلة وشريفة وهي عبادته وحده لا شريك له ، لكن الكثير منهم جنحوا عن الجادة وابتعدوا عن الدين الذي لا يقبل الله من أحد أن يدين بغيره وهو دين الإسلام .

كون الأخطل على دين نصرانيّة ، فيما جرير مسلم متديّن يمارس شعائر دينيّة على أكمل وجه .

وهذا سبب ظاهر على الأقل للعداوة والمناقضة ؛ حيث سلك شعراء النقائض في نقض المعاني طرقاً عديدة ترجع إلى أصل واحد ، وهو أنّ الشاعر الثاني معني بإفساد ما يقرره الشاعر الأول ، ومن الطرق التي اعتمدها المتناقضون.

**التسليم** : في هذا الطريقة يسلّم الشاعر الثاني للشاعر الأول معنى من المعاني ، فيصرف دون أن ينقضه طائعاً ومكرها ، إذا لا يستطيع الخوض فيه لداعٍ ديني .

حيث لم يكن في وسع الأخطل " النصراني " أن ينقض مثل هذه المعاني الدينيّة والسياسيّة التي تتصل بالخلافة وشعائر الإسلام ، ولاسيما أنّ الأخطل كان يعيش هو وقومه في حماية الدولة الإسلاميّة.

**ثنائية ضدية (الكفر / الإسلام ) :**

**جرير** من الطبقة الأولى ، طبقة فحول شعراء عصره ، وكغيره من الشعراء المسلمين تأثر تأثراً واضحاً بتعاليم الدين الإسلامي ، من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وما انبثق

عنهما من تعاليم سمحة ، وأخلاق كريمة ، ونظم إلهيّة لا يخالطهما اللّغو ، ولا يعتريهما النقص لقول الله تعالى :( **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ) [1].

– **جرير** : بن عطية شاعر عفيف قال عنه الدكتور " شوقي ضيف " – رحمه الله – " أمّا جرير فلم يكن لعشيرته ولا لآبائه شيء من المآثر الحميدة ، فانطوت نفسه على حزن عميق صفى جوهرها ، وزاد في هذا الصفاء تأثره بالإسلام إذ كان ديناً عفيفاً طاهر النفس " .

وتأثر جرير بالقرآن الكريم لفظاً ومعنى ، فقد صاغ بعض أبياته متأثراً بلفظ القرآن الكريم ، ويظهر في قوله :

مَازِلْتُ مُعْتَصِمًا بِحَبْلٍ مِنْكُمُ  مَنْ حَلَّ نَجْوَتَكُمْ بِأَسْبَابٍ نَجَا [2].

وقوله هذا مأخوذ من قول الله تعالى :( **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ) [3]

تشابه اللّفظان ولكن جرير لم يرد المعنى القرآني الّذي وردت به اللّفظة في الآية من سورة آل عمران وإنّما أفاد من اللّفظ دون المعنى .

وذكر أنّ جرير كان من أكثر الشعراء تديناً ، فقد ورد أنّ أبا عمروا بن العلاّء رأى في يده سبحة ، فقال له : ويحك يا جرير ، أليس هذا خير لك من المهاجاة ؟ فقال : والله ما هجوت أحداً إبتداءً

وكان دائماً يقول : أنا لا أبتدي ولكن أعتدي ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :(**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ) [4].

---

[1] الحجر ، الآية 09

[2] جرير ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر لبنان، ص11.

[3] آل عمران ، الآية 103.

[4] البقرة ، الآية 194.

فهذا الصفاء في نفس شاعرنا ، وهذا العفاف وذلك الطهر ، كل ذلك كان له الكثير من الإنعكاسات الواضحة حتّى رأينا شعره قد اِنطبع بهذه الخصال الدينية ، وإزداد الأمر وضوحاً حين وقفت على نقائضه مع الشاعر الأخطل ، فكأنّ الإسلام أصبح شرياناً مهما من الشرايين العامة التي تغذي شعره عامة ونقائضه مع الأخطل خاصة .

قَبَّحَ الإِلَهُ وُجُوهَ تَغْلِبْ كُلَمَا شَبْحَ الحَجيْجُ وَكَبّرُوا إعْلاَلاَ .

عَبَدُوا الصَلِيْبَ وَ كَّذَبُوا بِمُحَمَدٍ وبِجِبْرَائِيْلَ وَكَّذَبُوا مِيْكَالاَ[1].

ويكرر الثنائيات الضديّة في أكثر من موضع

لَعَنَ الإِلَهُ مَن الصَّلِيبَ إِلهَهُ والْابِسُين بَرانِسَ الرُّهْبَانِ [2].

ويستمر قائلاً :

أفَبالصَّلِيبِ ومَا رَسْمُ حِسٍ تَتَقِيْ شَهْبَاءُ ذَاتَ مَنَاكِيب جَمْهُورًا [3].

فمسألة العبادة مسألة حساسة جداً ، ويؤكّد جرير على عظم الشرك بالله – عزّ وجلّ – وهو شاعر مسلم ، إنّ الشرك بالله هو الذنب الذي لا يغفره سبحانه وتعالى ، وذلك من خلال الآيات القرآنيّة الدّالة على ذلك ، ومنها قوله تعالى : **( إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا )** [4].

ويشهد في ثنائية متضادة أخرى لقيس بالهداية ، ويشنع بضلال تغلب ؛ حيث يقول :

قَيْسٌ عَلَى وَضَحَ الطَرِيْقِ وأَنْتُمُ تَتَرَدَدُونَ تَرَدُدَ العُمْيَانِ .

[1] تاريخ النقائض في الشعر العربي ، أحمد شايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، 1954 م ، ص 409.

[2] المرجع نفسه ، ص 409.

[3] جرير ديوانه، ص112.

[4] النساء ، الآية 48.

وقد ألصق بهم الكفر والخروج عن الدين والإلحاد ، إذ يقول :

ما كانَ يَرضى رَسولُ اللَهِ دينَهُمُ وَالطَيِّبــانِ أَبو بَكرٍ وَلا عُمَرُ [1].

جاءَ الرَسولُ بِدينِ الحَقِّ فَانتَكَثوا وَهَل يَضيرُ رَسولَ اللَهِ أَن كَفَروا [2] .

وعلى هذه الشاكلة كان يهجوه دائماً بدينه ، وبما تؤدي تغلب من صدقة ، أو كما يسميها جرير جزية ، وهي الوظيفة المأخوذة من الكافر لإقامته بدار الإسلام في كل عام ، وهي فعلة من جزى ، يجزي ، إذا قضي ؛ حيث يقول :

لَنَا كُلَّ عَامٍ جِزْيَةٌ تتَقِي بِهَا عَلَيْكَ ومَا تَلْقَى مِنَ الذُّلِ أَبْرَحُ [3] .

كما يقول :

وَ يَسْعَى التَّغْلِبِيُ إِذَا إِجْتَبَيْنَا بِجِزْيَةٍ وَيَنْتَظِرُ الهِلَالَا [4].

حيث أصبح التغلبي ينتظر ويرتقب الهلال بعد الهلال حتى يقوم بدفع الجزية التي ترمز للذّل والعبودية.

فيهجوهم بعدم تطبيق شعائر الإسلام ، ولابدّ أن أعيد هنا حكمة الإسلام في أن يدفع أهل الذّمة الجزيّة التي يفرضها الخليفة عليهم لأنّهم لم يشّهدوا ، و لم يعترفوا بأنّ محمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم – ، فدفعهم للجزيّة على يد وهم صاغرون ، وذلك من أجل أن يتخلص الذّمّي من هذه الصغائر ، ويقول جرير :

[1] ديوان جرير ، دار بيروت للنشر ، الطبعة الأولى ، 1406هـ - 1986م ، ج02، ص 47.

[2] نقائض جرير والأخطل ، ص 174.

[3] ديوان جرير ، ص 87.

[4] المصدر نفسه ، ص 330.

أدِّ الجِزْى ودَعِ الْفِخَارَ بِتَغْلِبِ وَاخْشَا بِمَنْزِلَةِ الدَّلِيْلِ الصَاغِرِ [1] .

ويظهر ذلك في قول الله عّزّ و جلّ :( **حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** )[2].

وقال جرير :

خَالَفْتُمُ سُبُلَ النُبُوَةِ فاخْضَعُوا بِجَزَا الخَلِيْفَةِ ، والدَّلِيْلُ ذَلِيْلُ [3] .

**أما الأخطل** :

ولد نصرانياً وتلقى مبادئ دينه في حداثته وثبت عليه في مدى حياته ، والمرجح أنّه كان على مذهب اليعقوبية ، الذي كان شائع في قبائل البادية ، وكان الأخطل يجاهر بدينه لا يعمل فيه الحياء البشري ، والدليل عليه دخوله على الخلفاء والصّليب على صدره ، لا يخجل من حمله علانيّة كما أنّ هجاء أقرانه الشعراء ولاسيما جرير لم يؤثر فيه من هذا القبيل ، ولّما عرض عليه الخليفة عبد الملك أن يدين بالإسلام أبى ، ونجا منه بأبيات هزليّة ، وسمعه هشام بن عبد المالك ينشر في قصيدته اللّاميّة ، قوله :

وَإِذا اِفْتَقَرْتَ إِلَى الذّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُوْنُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ [4] .

وقال له : هنيئًا لك يا أبا مالك هذا الإسلام ، فقال له : يا أمير المؤمنين مازلت مسلماً في ديني ، ولّما دعاه بعضهم في الكوفة إلى دخول مسجد بني رؤاس ليصلي وكان مؤذنهم نادى بالصلاة قال:

---

[1] ديوان جرير ، ص 239.

[2] التوبة ، الآية 29.

[3] ديوان جرير ، ص 381.

[4] الأب شيخو اليسوعي ، شعراء النصرانية بعد الإسلام " شعراء الدولة الأموية " الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، سنة 1936 ، ص 171.

أُصَلِيْ حَيْثُ تُدْرِكُنِي صَلَاتِيْ وَلَيْسَ البِّرُ عِنْدَ بَنِيْ رُؤَاس [1].

كما حاول عبد الملك أن يدعو الأخطل إلى الإسلام ، فقال له :" لم لا تُسْلِم يا أخطل ؟ فقال :" إن أنت أَحْلَلْتَ لي الخمر ، ووضعت عني صوم رمضان ، أسْلَمْت " ، فقال عبد الملك :" إن أنت أسْلَمْت ثم قَصَرْتَ في شيء من الإسلام ضَرَبْتُ الّذي في عنقك " [2] .

فقال الأخطل :

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوْعًا وَلَسْتُ بآكِلٍ لَحْمَ الأضَاحِيْ .

وَلَسْتُ بِقَائِمٍ أَبَداً أُنَادِيْ قُبَيْلَ الصُبْحِ حَيَّى علَى الفَلاَحِ .

وَلَكِنَنِيْ سَأشْرَبُهَا شَمُوْلاً وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلِجِ الصَّبَاحِ [3] .

وربما قرعوه بالكفر فكان لا يكترث لشتمهم ، وعلى خلاف ذلك كان يرضخ لأوامر رؤسائه النصارى ، ويتقرب إليهم في أسرار دينه فكان " يقوم بين يدي قسيسه لأخذ القربان " .

كما يصفه جرير بعد قوله :

وإِنِّيْ لَقَوَّامٌ مَقَاوِمِ لَمْ يَكُنْ جَرِيْرُ وَلَا مَولَى جَرِيْرُ يَقُوْمُهَا [4] .

غير أنّ سلوكه كما يقول الأب هنري لامنسن لم يكن متّسقاً مع التقاليد المسيحيّة ، لقد طلق اِمرأته ثم تزوّج امرأة مطلقة ، وكان يعاشر القيان ، وكان القس يعاقبه على أعماله فيحبسه ،

[1] – الأب شيخو اليسوعي ، شعراء النصرانية بعد الإسلام " شعراء الدولة الأموية " الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ص 172.

[2] عارف حجاوي ، أول الشعر "عصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي "، دار المشرق ، ط2 ، القاهرة ، 2018م، ص 193

[3] إليا حاوي، الأخطا في سيرته ونفسيته وشعره،دار الثقافة بيروت لبنان،ص 27

[4] لأخطل ديوان ا ، شرح مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1414هـ – 1994 م ، ص 322.

أو يضربه فيستجدي بين يديه ، ويقول نيكسون : إنّ فضيلة النصرانيّة عند الأخطل كانت في أنّها تسمح له بشرب الخمر بالقدر الذي يريده .

ويقول في موضع آخر :

إنّ مَنْ يَدْخُلْ الكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَ فِيْهَا جَاذِرَا وَظِبَاءُ .

مَالَتْ النَّفْسُ بَعْدَمَا إِذْ رَأَيْتهَا فَهِيَ رِيْحُ ، وصَارَ جِسْمِيْ هَبَاءَ .

لَيْتَ كَانَتْ كَنِيْسَةَ الروْم إذاً كَ عَلَيْنَا قَطِيْفةْ وَخِبَاءُ [1] .

وهنا يصف الشغف الذي انتابه في الكنيسة عند رؤيته لنساء كالجاذر ، ويقصد به " بقر الوحش في سعة العيون " ، و " كالظباء " في ملاحة العيون والأعناق " .

وهناك حادثة تدل على تمسك الأخطل بعقيدته : " حين قال له عبد الملك : ألا تسلم فنفرض لك في الفيء ، ونعطيك عشرة آلاف ، قال : وكيف بالخمر ؟ قال وما تصنع بها وأنّ أولها لمر وأنّ آخرها لسكر ، فقال : أما إذا قلت ذلك ، فإنّ فيما بين هاتين لمنزلة ما ملك فيها إلاّ كعقلة ماء من الفرات بالأصبع ، فضحك عبد الملك " [2] .

وهذا النص وإن كان في ظاهره يدل على شغف الأخطل بالخمر ، إلاّ أنّ تعلقه بدينه هو الذي منعه من الإسلام ، فقد كان يستطيع – لو أراد – أن يسلم ، ويستطيع مع ذلك أن يشرب الخمر في خفاء.

أمّا في الخمر قد تأثر الأخطل في وصفها ، فمدّ وصفها إلى حال السكران ، ثم وصف أدواتها ومجالسها وصفاً يسيراً ، ولقد ساعدته نصرانيته على ذلك إذ لم يكن بإمكان الشعراء

[1] عارف حجاوي ، أول الشعر "عصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي "، ص 202.

[2] عبد سعيد ، تطور الخمريات في الشعر العربي ، " من الجاهلية لأبي نواس " مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1945م ، ص 114.

المسلمين أن يصفوها خوفاً من الحدّ " العقاب " ، وإن كان بعضهم قد شربها ، ومع أنّ الأخطل قد أطال وصف الخمر ، وكان يجيد نعت الخمر ودنانها وندمانها ، ويطيل المديح في عتقها والسرور بشربها ، يقول :

صَهْباءَ قد كَلِفَتْ من طولِ ما حُبستْ في مُخْدَعٍ بَينَ جَنّاتٍ وأنْهارِ

عذْراءَ ، لمْ يجْتَلِ الخُطّابُ بهجَتَها حتى اجْتلاها عِباديٌّ بِدينارِ [1]

واقرأ له القصيدة الأولى في ديوانه ، فستراه يصوّر فيها زقاق الخمر تصويراً بديعاً إذ يقول :

أنا خوا دبيبا شاصيات كأنما رجال من السودان لم يتسربلوا [2] .

ويصف تمشيها في دمه ، وجسمه ، وعظامه ، فيقول :

تَدُبُ دَبِيْباً في العِظَامِ كَأَنّهُ دَبيْبُ نِمالَ فْي نَقَا يَتَهَبلِ [3] .

ما من طيب إلاّ أحلّه الله ، وما من خبيث إلاّ حرّمه ، وما كان الله ليحرّم أمراً وفيه فائدة لعباده ، أو يحل شيئًا وفيه ضرر لهم ، وما أحلّه الله لعباده أكثر ممّا حرّمه عليهم ، ولأنّ جرير مسلم فهو يعلم تماماً أنّ شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير محرّم في الإسلام ، لقوله تعالى :( **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** )[4].

وهذه الآية قد حرّمت الخمر تحريماً لا يدع مجالاً لمتقوّل .

---

[1] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي 02، " العصر الإسلامي " دار المعارف ، القاهرة ، طبعة رابعة عشر ، 1119، ص 264.

[2] عارف حجاوي ، أول الشعر "عصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي " ص 169.

[3] إيليا حاوي، الأخطل في شعره ونفسيته وشعره ، ص 364.

[4] المائدة ، الآية 90.

وقوله عزّ وجل ّ: ( **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ....**)[1].

وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تحرّمه تحريما صريحاً لأنّ الإسلام دين الطهارة والنظافة .

وإنّ شرب الخمر وأكل لحم الخنزير من الموضوعات التي صلحت على لسان جرير ، وكان يوجه هذا النوع من السهام اللّاذعة إلى الأخطل الذي عرف بإدمانه الخمرة ، وكثرة شربها حين يقول :

أهْلَكْتِ قَومِكَ إذَا اخَضتِ عَليْهِمُ ثمّ انْتبَهْتِ وفِي العُدُوِ ذُحولُ .

فَبُحِتِ مَونُوراً وطَالبَ دمنه بِالخَمْرِ تَشْرُبُ تَارَةَ وتَبُولُ .

شَرِبْتُ بَعْدَ أَبِي ظَهِيرٍ وابْنَهُ سُكْرَ الدنان كَأَنَّ أنْفَكَ ثِيلُ [2] .

يبدأ بسخريته من الأخطل بتوبيخه بعد ذمّه لأنّه موتور ؛ أي مقتول الأب هو يطلب الدمنة أي المداومة على شرب الخمر ، والتبول لا أكثر ، ويقول :

إِذَا مَا رَأَيْتُ اللَّيْثَ مِنْ تَّغْلبَيةِ فَقَبِّحْ ذَاكَ اللّيْثُ المُتَوِشح

يَقِئن سَباباتٍ مِنَ الخَمْرِ فَوقَهَا سَهيرُ خَنَازيْرَ السَوادِ المُمَلَح [3] .

وهذا هجاء موجه إلى النساء التغلبيات اللواتي يشربن من الخمرة إلى درجة التقيؤ منها مع ما في بطونهنّ مما أكلنه من لحم الخنزير المملح المشوي إلى درجة السواد ، كما يعيّر أم الأخطل بشربها الخمر وكأنّه في الوقت نفسه يريد أن يؤكد على أنّ هذا السلوك المشين لا يفعله المسلم قائلاً :

---

[1] البقرة ، الآية 173

[2] أبي تمام، نقائض جرير والأخطل، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، لبنان ، 1922م ، ص 188.

[3] ديوان جرير ، ص 88.

نَزلَتْ أُمُ الأَخْيطَلِ وهِيَ نشْوِى عَلَى الخِنْزيْرِ تَحْسَبُهُ غَزَالاَ .

تظلُّ الخمرُ تخلجُ أخدعيها ... وَتَشكو في قَوَائِمِهَا امْذِلالا [1]

ويصف الخمرة ومجلسها :

كأنّي ، غداةَ انصَعنَ للبينِ ، مُسلَمٌ بِضَربةِ عُنقٍ ، أَو غويٌّ مُعَذِلُ

صَرِيعَ مُدَامٍ يَرْفَعُ الشُرْبَ رَأسَهُ لَيحْيَا وقَدْ مَاتَتْ عِظَامُ ومَفْصِلُ

نهاديهِ أحياناً ، وحيناً نجره وما كاد إلاَّ بالحُشاشَةِ يَعقِلُ[2]

وهنا يصف مشهد السكران الذي تساقطت أعضاؤه وطفق أصحابه يهادونه ، وهو لا يستنفد في بيت واحد ؛ بل يمتد إلى ثلاثة أبيات تشكل شبه وحدة خاصة ، فيمثله برجل صريع لا يتمالك نفسه وهو ينعم .

ويقول في موضع آخر : ويعتبر الأخطل من أشهر من غنى بالخمر في العصر الأموي ، فهو شاعر القصر المتوّج بالنار ، وهو القائل :

فَلَدّات لُمرتَاحٍ وطَابَتْ لِشَارِبٍ وراجَعَنِي مِنْهَا مِراحُ وأَخْيُلُ [3] .

ويرسم صورة المنتشي بها نشوّة تفقده حسه ووعيّه عى هذا النحو :

صَرِيعَ مُدَامٍ يَرْفَعُ الشُرْبَ رَأسَهُ لَيحْيَا وقَدْ مَاتَتْ عِظَامُ ومَفْصِلُ

نهاديهِ أحياناً ، وحيناً نجره وما كاد إلاَّ بالحُشاشَةِ يَعقِلُ .

[1] نقائض جرير والأخطل ، ص 195، 196.

[2] شوقي ضيف ، التطور والتجديد في لشعر الأموي ، ص 207.

[3] نقائض الأخطل وجرير ، ص 363

وكان الأخطل شغوفا بالخمر شغفاً شديداً حتّى لنراه يذكر في حديث له مع عبد الملك أنّها هي التي تمنعه عن إعلان إسلامه ، ويدخل عليه سكران تنتفض لحيته خمراً ، ثم يطلب الخمر في مجلسه حتى إذا قال له الخليفة أنّه لا يطلب الخمر في مجلسه ، خرج مع حضرة الخليفة فشرب ما شاء من الأقداح ، وعاد ثانية إلى المجلس ويلاحيه الشاعر جرير في مجلس عبد الملك يقول :

" يا أمير المؤمنين " إنّ رائحة الخمر تفوح منه " ، فيقول الأخطل : صدق يا أمير المؤمنين واعتذارى من ذلك ، ثم يلتفت إلى جرير يخاطبه منشداً [1] .

تعِيبُ الخَمرَ وهِي شَرابُ كسرِى وَيَشرَب قوْمَكَ العَجَب عُجْباً .

ويستمر جرير حيث يصوّر والدة الأخطل تسعى على أثر الخنزير وهي سكرانة ، وتشم رائحته الخبيثة تباعاً ظناً منها أنّها ظبي الغزال ، إذ يقول :

تَسُوقُ التَغلبِيَة وَهِي سَكْرَى قَفَا الخِنزِيرُ تَحْسَبُهُ غَزالَا [2].

ويقول أنّها اعتادت على أكل الخنازير حتى اخضرّت أنيابها من كثرة أكلها :

أَيَفْخَرُ عَبدٌ أُمَّهُ تَغْلِبِيّة قَدْ إخْضَرَّتْ مِنْ أَكْلِ الخَنانيْص نابها.

غَلِيْظَةُ جِلْدِ المنْخَرَيْنِ مُصِينَة عَلَى أنَفِ خِنزِيرِ يَشُدُّ نِقَابَهَا [3] .

بدى الفضاء الديني واضحاً في الثنائيات الضديّة التي استعان بها جرير في هجاء الأخطل وخاصة في قوله :

تَغشَى المَلائِكَةَ الكِرامَ وَفَاتِنا والتَّغْلِبِي جَنازَةِ الشَيْطَانِ.

[1] جميل سعيد ، تطور الخمريات في الشعر العربي " من الجاهلية إلى أبي نواس " ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط01، 1945م ، ص 115.

[2] نقائض جرير والأخطل ، ص 195 .

[3] ديوان جرير ، ص 50.

يُعْطَى كِتابَ حِسَابِهِ بِشِمالِهِ وكِتَابَنا بِأَكُفِنَا الأَيْمَانِ [1].

انتظمت في هذه الأبيات سلسلة من المتضادات التي استقاها جرير من ثقافته الدينيّة ، فمن فكرة الطهارة والنجاسة أتى بثنائية متنافرة عميقة لم يحصرها في الأحياء فقط ، وإنّما تجاوز بها إلى الأموات ؛ حيث جعل الملائكة تغشى جنائزهم وتقابلها الشياطين التي تغشى جنائز تغلب ، و لم يكتف جرير بجعله جنائز تغلب لا تغشاها الملائكة ؛ بل جعل التغلبي كله جنازة الشيطان فالتضاد ليس في الطباق الذي بين الملائكة والشياطين فحسب ، وإنّما يشمل البيت كله ، فالملائكة بقدسيتها وجلالها ترعى موت جرير وتحيطها بالرحمة والعناية ، والشياطين بنجاستها ولعنتها تعبث بجنائز الأخطل .

وفي البيت الثاني ينشئ ثنائية متضادة أخرى مفيدة من فكرة إعطاء الكتاب يوم القيامة ، كتاب الأعمال ، فجعل كتابهم يعطونه بأيمانهم ، ليوازي بينه وبين كتاب تغلب الذي يعطونه بشمائلهم ثم يبني في البيت الثالث عتبة لتضاد كبير بين أفعال كبيرة متناقضة تماماً " تصدقون " و " تكذبون".

ومن الطبيعي أن لا يكون للأخطل نصيب في هذه الثنائيات الضديّة والتي يمثل الإسلام مرجعيتها ، وذلك لكفره الذي قيل قد ضيّق عليه القول ، فما كان للأخطل أن يجرؤ على هجاء جرير بدينه كما كان جرير يفعل به ، لأنّ دين جرير دين الدّولة والجماعة ، فإذا هجاه به الأخطل أغضب المجتمع كله بما في ذلك الخليفة نفسه الذي كان الأخطل يتنعم في بلاطه ، ويرفل في نعيمه فلذلك لا نجد شيئًا كثيراً من هذه الثنائيات الضديّة المستقاة من الفضاء الدّيني في نقائض الأخطل.

[1] نقائض جرير والأخطل ، ص 208.

**المبحث الثالث: الفضاءات الإجتماعية :**

مثلت الفضاءات الإجتماعية والتاريخية عامة مرجعاً أدبيًا مهماً لمادة الثنائيات الضديّة التي احتوت عليها نقائض جرير والأخطل ، وذلك لأنّ الخطاب الشعري الذي تقوم عليه النقائض الشعريّة كلّه يحتكم في نهايته إلى هذه الأنظمة التي تدير حياة المجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر ويحتكم إليه في خصومه مع الآخرين .

فالشاعر حينما يوّظف ثنائيات الخير / الشر ، والحق / الباطل ، والهدى / الضلالة ، والعفّة / الفجور ، والكرم / البخل ، والشجاعة / الجبن ، و النصر / الهزيمة ، والعزّة / الذّلة ، و الحريّة / العبودية .

ومن الثنائيات الضديّة التي تطرقنا إليها الآتية :

– **العزّة والذّلة :** الجاه و العّز والسلطان من مصادر قوة الإنسان العربي القديم ، ونقيضه الذّل وهو الضعف ، والهوان ، لذا يلجأ الشعراء دائماً إلى مثل هذه المعاني .

وعندما نتوقف عن طباع الجبن ، والدناءة ، والذّل ، والسفاهة ، نجد أنّ كلا من الشاعرين قد وصم بها صاحبه ، وثنّى بوصم قومه أيضًا ، وخاصة فيما يتعلق بالهزائم والحروب التي دارت بينهم بعبارات بسيطة واضحة بعيدة عن تعقيد ، و الإغراب ؛ بل مال أسلوبهم إلى التقرير والمباشرة ، ومن هذا قول جرير للأخطل معيراً إياه بالذّل والهوان .

بَكَى دُوبْلْ لاَ يَرقَى اللهُ دمْعَهُ أَلَا إنّمَا يبَكِي مِنَ الذُلِ دُوبْلَ .

جَزَعْتَ ابْنَ ذاتَ الفِلسِ كَمَا تَدارَكَتْ مِنَ الحرْبِ أنْيابُ عَليكَ و كَلْكَلِ [1].

[1] أبي تمام ، نقائض جرير والأخطل ، ص 66.

نراه يقرر جبن الأخطل ، ويفسّر لنا أنّ بكاءه بسبب الذّل طبع عليه ، ولا يكتفي بذلك ؛ بل يذهب بعيداً ليمس انتماء الأخطل الديني معبراً إياه ووالدته بأنّها من أهل الذّمة الذين ختم على رقابهم تمييزاً لهم من الآخرين ، وحرّي بمن كان هذا شأنه ألا يشعر شعور الأحرار والسادة .

ويقول الأخطل معيّراً جريراً بهوان شأنه في إطار صورة اجتماعية دقيقة تلامس كبرياء النّفس ، وتنال من إحساسها بالسمو ، وتظهره جباناً يغلبه الجبن ويقيّده حين يجعله راعياً هزيلاً يقوم على أمر القطيع لكنّه لا يستطيع أن يزاحم أحداً ، ولا يملك الجرأة على الإقتراب من الماء ؛ بل هناك من يقذف به إلى الخلف لينتظر ، وينتظر لا يكاد يروي قطيعه من الحمير ، أو يرد به الماء لأنّه كلما أراد ذلك حلئ عن الماء كما تحلأ الإبل السائبة .

المانعيك الماءَ ، حتى يَشْرُبُوا عِفَواتِه ، ويُقَسّموهُ سِجَالَا

وابنُ المَرَاغَةِ حابسٌ أعْيارَهُ قذفَ الغريبة ما يذقنَ بلالا [1] .

صورة دالة يصنعها الأخطل من المفارقة التي تعتمد صورة الشاعر المشهور الذي يسوق قطيعاً من الحمير إلى شريعة الماء ، وفي إبرازه لنوعه القطيع غمز وتقليل من مكانة هذا الشاعر الكبير الذي لا يقتدره أحد ، ولا يحترم مكانته .

وبعد ذلك يرى أسباباً عديدة لتلك الذّلة التي يَقْبَعُ تحت وطأتها قوم الأخطل من نصارى تغلب ، وهي :

أ- أنّ نصارى تغلب لا أمجاد لهم ، وفي ذلك يقول [2] :

قَيْسٌ وخنْدفُ أهْلَ المجْدِ قَبلَكُمُ لَسْتُم إليْهِمْ ولاَ أَنتُمْ لَهَمْ خَطَرُ .

[1] نقائض جرير والأخطل ، لأبي تمام ، ص 72

[2] ديوان جرير ، بشرح محمد بن حبيب ، وتحقيق الدكتور محمد أمين طه ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ص 45.

فالتّغلبيون كما حكم عليهم جرير : لا يستطيعون منافسة خندف ، وقيس في الرفعة والسؤدد إذ لا قدرة لهم على ذلك .

ويقول كذلك [1] :

ومَا لِتغْلِبْ إنْ غَدتْ مَسَاعِيهَا نَجْمُ يُضِيءُ ولا شَمَسٌ ولاَ قَمرُ .

إنّه بيت يكّمل معنى البيت السابق ، فالتّغلبيون غارت نجوم أمجادهم ، وكسفت شمسها وخسف قمرها .

ب- أنّهم في منزلة العبيد ، فهم في مؤخرة القوم دائماً :

يقول جرير [2] :

والتّغْلِبِي إذا تَمتْ مُروءَتَه عَبدٌ يَسُوقُ رُكابَ القَّومِ مُؤتَجرُ .

فمن طبع العبيد أن يسوقوا الركائب والمطايا ، وأنّهم أجراء .

ويقول :

تَلقىَ إذا امْتنعَ الكِرامَ بِموطْنٍ أشَرافَ تَغلِبِيُ سَائلاً وأجِيرَا .

إنَّ الأخْطلَ لوْ تنَاضَلَ خَندَفَا لقِي الهَوانَ هُناكَ و التَصغِيرَا [3].

يدّل جرير التغلبيين بأنّ أشرافهم وأسيادهم يقومون على خدمة الكرام مقابل الأجرة ، ثمّ يحّقر الأخطل ، وذلك بلفظ التصغير " الأخيطل " فهو صاغر ذليل دائماً .

[1] ديوان جرير ، بشرح محمد بن حبيب ، وتحقيق الدكتور محمد أمين طه ، ص 183

[2] ديوان جرير ، ص 184.

[3] المصدر نفسه ، ص 204.

يقول جرير :

تَفدُ الوُفودَ وتَغلِبُ مَنفِيةُ خَلفَ الزَوامِلَ والعَواتِقَ مَيلُ .

دَعَا إذا انْزلَوا ليَأخُذَ زادَه ويُقالُ : إنِّكَ للْضِباعِ مُخيْلُ [1].

إنها ضربات قوية يوجهها جرير للأخطل وقومه التغلبيين فهم أجراء يبقون وراء المطايا وأما الكرام ففي المقدمة دائما والتغلبيون يصفهم بالعبيد والأخطل يدعى ذليلا ليأخذ لقمته فهو مظنة الشؤم ونظرا لكثرة الأحمال التي يحملها للقوم فإن الحبل الذي تشد به تلك الأحمال يترك أثرا في رأسه تماما كالأثر الذي يتركه الحبل الذي يُربط به الدلو ، في حافة البئر .

ج- إن التغلبيين لا أحساب ولا أنساب يقول :[2]

وكيف يصول ارصع تغلبي وما للعبد من حسب نديم

وقال :[3]

ولو أن تغلب جمعت أحسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالا

د- إن التغلبيين ليس لهم خؤولة أصيلة :

يقول جرير :[4]

لا تطلبن خؤولة في تغلب فانزلج اكرم منهم أخوالا .

[1] ديوان جرير ، بشرح محمد بن حبيب ، وتحقيق الدكتور محمد أمين طه ، ص 349.

[2]- جرير ، ديوانه ، ص363.

[3]- المصدر نفسه ، ص332.

[4]- المصدر نفسه ، ص 332.

فهم كما يقول جرير ، أقل من العبيد أصالة إذ لا أصل لخو ولتهم إنّ الله ضرب عليهم الذّلة والعار بداية .

قال جرير :

لا تَفْخرَنَ فإنّ الله أنْزلَكُم يا خَزْر تَغلِبَ دَارَ الذُّلِ والعَارَ [1].

فهو يرى أنّ التغلبيين أذّلهم الله ، وكتب عليهم العار ، وهذا سبب يضاف إلى أسباب ذلتهم ؛ بل ربما يكون أهمها لأنّ الله إذا أهان قوماً فما لهم من مكرّم ، كما قال الله تعالى : **( وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ )** [2] .

يلجأ الأخطل إلى تضخيم مساوئ قول جرير عامة ما يوفر له فسحة أكبر للتندر والعبث لقوله :

لَآكِلوْنَ خَبيْثَ الزّادِ وحْدَهُمُ والسَائلُوْن بِظهرِ الغَيبِ مَا الخَبرُ ؟

صُفْرُ اللّحَى مِنْ وَقوْد الدُخَانِ بأَدٍ رَدّ الرُفاد وكَفَ الحَالبِ القَزِزُ .

وأقْسَمَ المجْدُ حَقاَ لا يُحالِفُهُمْ حَتّى يُحالِفَ بَطْنَ الرّاحَةِ الشّعْرُ [3] .

فهو يرميهم بالهوان وعدم المشاركة في شؤون المجتمع و الناس ؛ بل هم أذلاء يحكم فيهم الآخرون كما أنّهم يغيبون عندما تحضر عليهم القوم .

فالأخطل يعتّز بشجاعة قبيلته تغلب ، وتفوقها على أعدائها ، فهي نظرة قوية لا أحد يجاريها ولا يستطيع أحد أن يتمكن منها فهي التي تتمكن من الأعداء ومنازلهم ؛ حيث يقول معتّزاً :

[1] نقائض جرير والأخطل ، ص 147.

[2] الحج ، الآية 18

[3] نقائض جرير والأخطل ، ص 173

نَصَبْنا لَكُم رأسَا فلَم تُكلِمُوا بهِ ونحْنُ ضَرَبْنا رأسَكُم فتَصدَعَا [1].

ونحُن قسّمْنا الأرْضَ نِصفَيْن نِصفَها لَنا و نُرامِي أنْ تُكُون لَنا مَعاً .

استقى الشاعران ثنائيتهما المتضادة من الأيام الكثيرة ، وكانت لقبائلهم أو لقبائل أخرى يناصرونها ، وتفاوت الشاعران في الإفادة من هذه الأيام في تشكيل الثنائيات المتضادة على نحو ما يتّضح من الشواهد ، الذّلة والمعزّة ، ومن الشواهد التي نبدأها بيوم " الكلاب " وهو يوم لتغلب على بكر ، والكلاب اسم ماء بين البصرة والكوفة ، وكان أول من ورد هذا الماء سفيان بن مجاشع جد الفرزدق ، وقد أبلى فيه مع بعض بنيه بلاء حسناً ، فافتخر بذلك كثيراً ، فقال الأخطل متباهياً بذلك أمام جرير :

أَنَسِيْتَ قَتلِي بِالكِلاَبِ وحَابِسٍ وبَقِيْتَ وَيْحَكَ بِرقَة الرَّوْحَانِ .

وَدَتْ نَمِيُر بِالكِلاَبِ لَو أَنّهَا باَعَتْ هُنَاكَ زَمانِهَا بِزمَانِ [2] .

فالشاعر يذكّر جرير بيوم الكلاب من خلال هذه الثنائية التي إستهلها باستفهام ينكر ما عليه جرير ، وهو نسيانه ذلك اليوم الذي لقيت فيه قبيلته وبال أمرها ، كما يستهزئ ببكائه على برقة الروحان ، إذ قال جرير في مطلع معلقته :

لَهيَ الدِيارُ بِبرقةَ الرَّوحَانِ إذْ لا نَبيعٌ زمَانِنا بِزمَانٍ [3] .

**الكرم والبخل**

[1] ديوان الأخطل ، شرحه وصنّف قوافيه وقدّم له مهدي ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1414هـ - 1994 م ، ص 197.

[2] ديوان الأخطل ، ص 176.

[3] ديوان جرير ، ص 468.

من القيم الأخلاقية العربية التي عرفت بالأخطل وقومه افتخر بها الكرم فو فضيلة جبل عليها رجال قبيلته إذ يصور لنا هذه السجية الحميدة فيأتي بصورة جميلة يرسمها لكرمه وكرم قومه وهو ما نراه واضحا في هذه الصورة التي أبدعها جرير للنيل من الأخطل وقبيلته حيث يقول: والتغلبي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الامثالا[1]

وهذا التكثيف العال لمعنى البخل يأتي ضمن تصوير دقيق ، فقوم الأخطل اذا ما استضافوا الناس تهربوا من واجب الضيافة فرد عليه الاخطل قائلا :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لامهم بولي على النار[2]

ولعل أدق ما علق به هذا البيت هو قول ابن رشيق [3]

قد جمع ضروبا من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوقود النار ، لئلا يهتدي بها الضيفان ثم البخل بإيقادها إلى السائرين ورماهم بالبخل بالحطب

وهنا يبين أن التغلبي البخيل يقوم بحركات تشير إلى بخلهم المتجذر ويقول جرير :

قوم إذا حاولوا حجا لبيعتهم صرّوا الفلوس وحجوا غير أبرار[4]

إذ يصور جرير تلفتهم حولهم على النقود التي خبأت بخرقة تضمها وتفيها فلا تكاد تظهر ويدل هذا على قلة النقود التي لم تحفظ في أكياسها الخاصة ، ويدل على أنهم قليلو الشأن بخلاء لأنهم يعتمدون على الأجزاء الصغيرة من القطع النقدية

[1]- جرير، ديوانه، ص362.

[2]- أبي تمام ، نقائض الجرير والاخطل ، ص135.

[3]- أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة ، تح: محمد قرقزان، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ن 1988م ، ص853.

[4]- جرير، ديوانه، ص312.

وهنا تتشكل ثنائية ضدية مناقضة ومغايرة لتلك الصورة التي يظهر بها قوم جرير من المسلمين الذين يتوقون لرؤية الضيف وإكرامه حتى في أحلك الظروف .

فإذا تأملنا إشاراتهم إلى طبع الكرم ، فسوف نرى ان المعاني التي تناولها الشاعران في نقائضهما لا ترقى إلى ما استقر في أذهاننا عن هذه السجية التي أكثر العرب من التمدح بها فتكاد اللمحة الفاطنة والعبارة الجاهزة المتداولة أن تكون هي القالب الذي قدم هذه الصفة وهو ما يظهر في قول الأخطل .

إنا نعجل بالعبيط لضيفنا قبل العيال ونقتل الأبطالا[1]

ويكرر الأخطل المعنى ذاته ، فيدعي انه يطعم الناس غذا ما حل بهم القحط وأخرجهم للبحث عن الطعام

وأنّا نطعم الأضياف قِدما إذا العذراء أخرجها القتار[2]

وهو ما فعله جير في نقيضة تشير إلى كرمهم وقت الحاجة

وإنّا لنقري حين يحمد بالقرى ولم يبقى نقي في سلام ولا صلب [3]

مع العلم أن الكرم يتجلى في تقديم القرى وحسن الضيافة وهو منذ الجاهلية يلهجون بهذه المعاني.

ويعود مفاخرا بقبيلته الأم "تميم" ، وبكرمها وشجاعتها[4]

تباعد من مزاري أهل نجدٍ إذا مرّت بذي خُشُبِ ركابي

[1]- النقائض ، ص73.

[2]- المرجع نفسه ، ص128.

[3]- المرجع نفسه ، ص 110.

[4]- جرير ، ديوانه ، ص26.

غريبا عن ديار بني تميم وما يخزي عشيرتي اغترابي

فبهذه الصورة الفخرية يؤكد جرير انتسابه إلى قبيلة تميم ودفاعه عنها مهما ابتعد مكانيا ، حيث تنسب غلى قومه الصفات الحميد كالكرم والشجاعة.

وقيمة الكرم نفاها جرير عن التغلبين في قوله:

وتغلب لا يصاهرهم كريم ولا أخوال من ولدوا كرام

وإذا اجتمعوا على سكر بفلس فنصوا عند ذلك والتطام [1]

وهو يعيّرهم بالبخل حيث لا يتقدم إليهم كريم ليتزوج من بناتهم لأن الكريم لا يصاهر البخلاء،

وأبناء التغلبيين بخلاء لأن أخوالهم بخلاء .

ومن إمعان جرير في وصف أولئك القوم بالبخل أنهم إذا اجتمعوا على شرب خمر قيمته فلس واحد حصل النزاع بينهم واحتدمت المعركة واخذ كل واحد منهم يشد ناصية صاحبه وحصل اللطم بينهم ، فقد اجتمع فيهم ضياع العقل بسب السكر والبخل الشديد.

عند ذلك يستحقق جرير أن يفخر بقومه الكرماء ، وأن يعلن هذا الكرم في وجه الأخطل قومه فيقول :

ما أوقد الناس من نيران مكرمة إلا اصطلينا وكنا موقدي النار[2]

[1]- جرير ، ديوانه، ص378.

[2]- المصدر نفسه ، ص 220.

# خاتمة

تبيّن مما سبق أنّ نقائض جرير والأخطل جاءت حافلة بالثنائيات الضّديّة ، وقد تنوعت فضاءات هذه الثنائيات من فضاءات تاريخية وأخرى إجتماعية و ثالثة دينية ، وهنا يجب الإشارة إلى أمرين مهمين ، الأول هو أنّ هذه الفضاءات ليست هي كلها الفضاءات التي يمكن أن تستخلص من نص النقائض الغني بكم وافر من الفضاءات المختلفة ، أمّا الثاني فهو أنّ هذه الفضاءات تتداخل فيما بينها تداخلاً واضحاً ، فمن ثم تداخلت الأفكار التي طرحت في هذه الدراسة ، كما تبيّن أمر آخر هو أنّ لكل من الشاعرين نصيباً قلّ أو كثر من الثنائيات المتضّادة المستقاة من هذه الفضاءات ، وقد تفاوتوا في ذلك تفاوتاً بيّنا كمّاً وكيفًا ، ويمكن إجمال القول في هذا الجانب :

– إنّ جرير كان أكثر نسجاً من الثنائيات المستمدة من الفضاء الدّيني ، في مواجهة الأخطل الذي حرمته نصرانيته من تعاطي هذا الفضاء ، وجعلته يلجأ إلى التعويض من الفضاءات الأخرى ،التّاريخية والإجتماعية ، ولكن على الرغم من ذلك ظلّ جرير يشاطره ويقاسمه في كثير من ذلك ؛ بل يبرزه أحياناً .

– شاعت النقائض في العصر الأموي بشكل كبير ، وقد أسهمت في فهم الأساليب الشعريّة التي استعملها كل شاعر .

– النقيضة هي قصيدة لخصم له ، فينقض معانيها عليه ، ويقلب فخر خصمه هجاء وتكون النقيضة من بحر الخصم ، وعلى روّيّها .

– ومن أسباب استحداث غرض النقائض في العصر الأموي هو تضّخم حركة الأدب في الأصقاع آنذاك ، وتطور العقلية العربية ، وحاجة الناس إلى نوع من الثقافة لسد الفراغ الهائل في حياتهم .

– وفي كل هذا يبقى لكل شاعر خصومه ومميزاته ، كما يبقى لكل منها رصيده الشعري الّذي يخلّد اِسمه في حقل الشعراء الفطاحلة .

# قائمة المصادر والمراجع

**1. القرآن الكريم برواية حفص**

2. بن ميمون ،منتهى الطلب من أشعار العرب،تحقيق د.حمد نبيل طريفي ط1 ،1999،دار صادر.

3. احمد الشايب ، تاريخ النقائض ، في الشعر العربي ،ط2، ج1،المكتبة النهضة المصرية.

4. ابراهيم أنيس، في اللهجات الغربية مطبعة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، مصر ، 1992.

5. ابن منظور، محمد بن كرم الأنصاري (ت-711هـ) ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج.7، 1955م

6. أبي البركات الانباري، كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين البصرين والكوفيين، الناشر مكتبة الخانجي ،بالقاهرة، ط1

7. أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة ، تح: محمد قرقزان، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ن 1988م

8. أحمد حسن زيات ، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة للطبع والنشر ، مصر، القاهرة ، دط.

9. البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1979م.

10. الزمخشري، ربيع الابرار ونصوص الأخبار، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1412،1ه -1992م

11. الشايب أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط.2، ج.1، مكتبة النهضة المصرية، 1998

12. إيليا حاوي، الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره، المرجع في أعلام الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

13. حنا الفاخوري، الفخر والحماسة، دار المعارف ،القاهرة، مصر،ط1119،5

14. شمس الاسلام أحمد حالو ،ديوان الشعراء المعمرين، ناشير أبوظبي للثقافة التراث، دار الكتب وطنية،أبوظبي، ط1، 2010.

15. عبد الحميد القط، دراسات في الشعر في العصرين الإسلامي والأموي ، 1987.

16. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي من مطلع الجاهلية الى سقوط الدولة الأموية دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1981.
17. كمال أبو ديب،جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، 1979
18. محمد أبو ربيع، تاريخ الأدب العربي القديم، دار الفكر، عمان ، 1990
19. محي الدين محدم على محمد، محاضر الأبرار ومسامرة الاخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار
20. مصطفى الشكعة، رحلة الشعر من الأمويين الى العباسيين، الدار المصرية اللبنانية، 1997
21. الأب شيخو اليسوعي ، شعراء النصرانية بعد الإسلام " شعراء الدولة الأموية " الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، سنة 1936
22. أبي تمام، نقائض جرير والأخطل، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، لبنان ، 1922م
23. جميل سعيد ، تطور الخمريات في الشعر العربي " من الجاهلية إلى أبي نواس " ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط01، 1945م
24. سمر الديوب ، الثنائيات الضدية، بحث في المصطلح ودلالته، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2009، شوقي ضيف ، التطور والتجديد في لشعر الأموي ،دار المعارف ، ،بيروت،لبنان، ط8
25. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي 02، " العصر الإسلامي " دار المعارف ، القاهرة ، طبعة رابعة عشر ، 1119.
26. عارف حجاوي ، أول الشعر "عصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي "، دار المشرق ، القاهرة ،ط2 ،2018م،
27. عبد سعيد ، تطور الخمريات في الشعر العربي ، " من الجاهلية لأبي نواس " مكتبة النهصة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1945م

**المعاجم:**

28. اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر ، 1110

29. المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، راجعه: عبد الوهاب السيد عوض، مؤسسة روز يوسف الجديدة ، ط1 ، 1992، 344/3.
30. جميل صليبا، المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 379-380.
31. نصار سيد أحمد، المعجم الوسيط،

**الدواوين :**

32. ديوان الفرزدق، شرحه الأستاذ على فاعور،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1407ه، 1987م
33. ديوان جرير ، بشرح محمد بن حبيب ، وتحقيق الدكتور محمد أمين طه ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة
34. ديوان جرير ، دار بيروت للنشر ، الطبعة الأولى ، 1406هـ - 1986م ، ج02.
35. ديوان الأخطل ، شرح مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1414هـ - 1994م

# فهرس المحتويات

شكر .....

إهداء.....

مقدمة .....أ

**الفصل الأول : ماهية شعر النقائض**

المبحث الأول : مفهوم النقائض وعوامل نشأتها .....02

المبحث الثاني: خصائص النقائض وموضوعاته.....10

المبحث الثالث : الشعراء فن النقائض في العصر الأموي .....27

**الفصل الثاني :فضاءات الثنائيات الضدية في نقائض جرير والأخطل**

المبحث الثاني : الفضاء الديني .....33

المبحث الأول : مفهوم الثنائيات الضدية .....37

المبحث الثالث: الفضاءات الإجتماعية .....49

خاتمة .....59

قائمة المصادر والمراجع .....61

فهرس المحتويات .....65